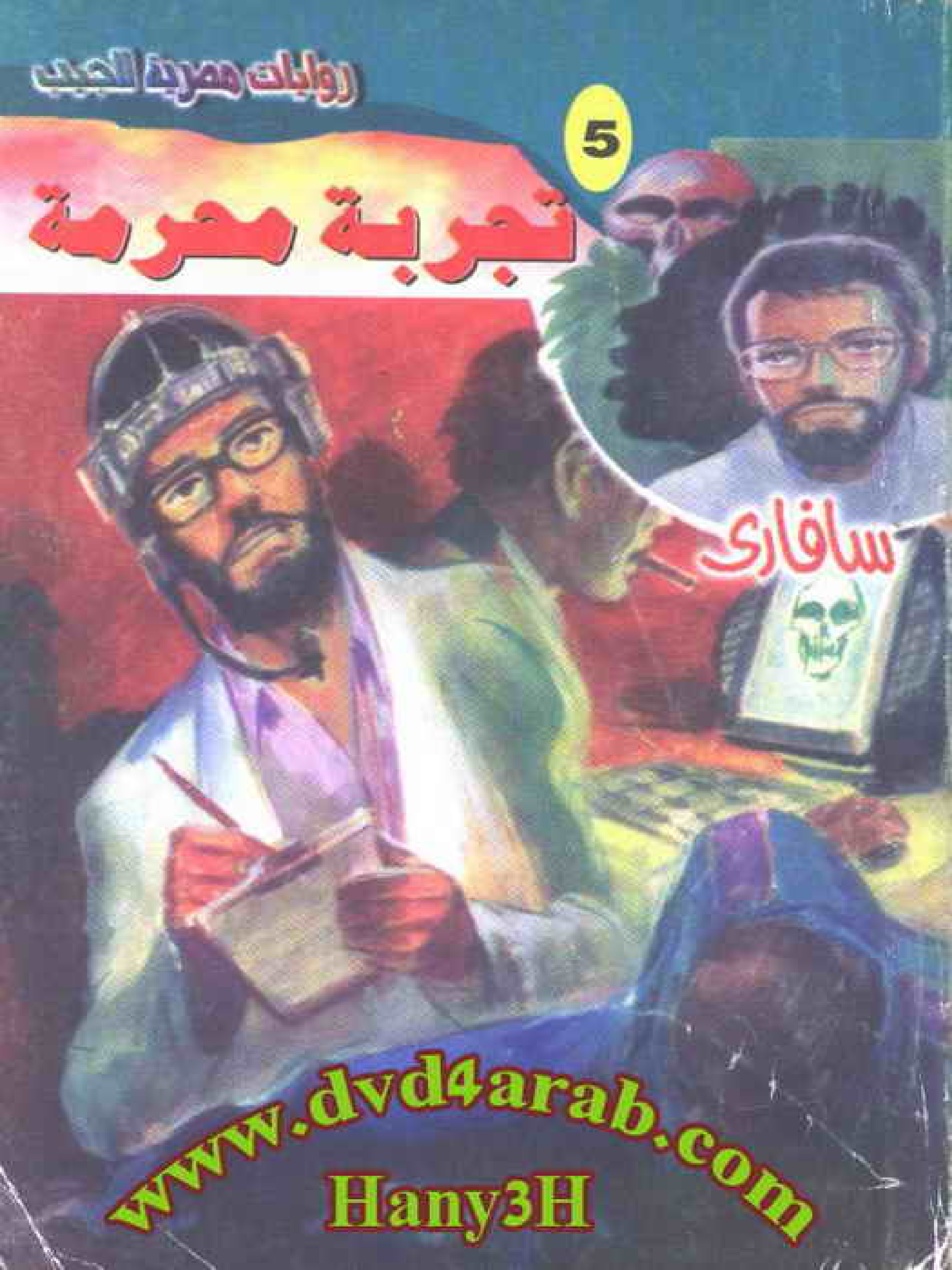

روايات مصرية للجيب
5
تجربة محرمة
سافاري
www.dvd4arab.com
Hany3H

مقـــدمة

(سافارى) مصطلـح غربـى تـم تحريفـه عن كلمـة (سفرِيّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغـال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هـا هنـا كـانت تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لاتنتهى .. وبيئة معادية .. وأهال متشككين ..

بطلنا الذى سنقابله دومًا ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هـو د . (عـلاء عبد العظيم) .. شـاب مصـرى ككـل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيدًا وسط أدغـال (الكـاميرون) ، وفـى بيئـة غريبـة وأمـراض أغـرب وأخطار لاتنتهى فى كل دقيقة ..

وفـى هذه الروايـات نقرأ مذكـرات د . (عـلاء) .. نعيش معه فـى ذلك العـالم العجيب الـذى لـم تنجـح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير مـن الفيروسات القـاتلـة .. والسـحرة المجـانين .. وأكلـة لحـوم البشـر .. والمرتزقـة الـذيـن

لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيبنا الشاب كى يظل حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبيبًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

* * *



١ـ بداية قصة جديدة ..

لو كانت هذه قصة كلاسيّة قديمة لبدأناها بعبارة :
« فى ذات صباح مشرق نهض أبطالنا والأمل يملأ أعطافهم ، وما كانوا يعلمون ما هم مقبلون عليه .. »

ولو كانت قصة تدّعى الحداثة لبدأناها بعبارة :
« إنه الصباح .. يوم جديد يعلن عن مولده فى (سافارى) .. وأزمة جديدة تتحرش .. »

ربما كنا سنبدأ القصة قائلين : « فرغ (علاء) من إفطاره ، واستعد كى يمارس عمله فى (سافارى) ، غير عالم بما ينتظره من أخطار .. »

لكننا نبحث عن التجديد .. نبحث عن كل ما هو غريب وغير مملّ .. لهذا لن نبدأ القصة بأية عبارة تمهيدية ..

سنبدؤها الآن !

★ ★ ★

من بين الوجوه الجديدة فى (سافارى) ظهر لنا وجه يُدعى صاحبه (فرانسوا دوبون) .. والاسم يُوحى بفرنسيته ، لكنه فى الواقع بلجيكى ..

هو وجه جديد .. هذا حقّ .. ويسرنى هذا ، لأنه جعلنى أكفّ عن أن أظلّ جديدًا ؛ فمنذ جئت إلى (سافارى) واسمى المُعتمد هو : (الطبيب الجديد) ، وبدا أننى سأبقى هكذا للأبد .

ثم ظهر التونسى (بسّام) .. وطبيب يوغوسلافى لا أذكر اسمه ، لكنه ينتهى كالعادة بـ (فيتش) .. ثم جاء هذا الـ (دوبون) ..

كنت أفضل ألا أبدأ القصة بالوصف ؛ لكنى مضطر لهذا ما دام (دوبون) هو بطل قصتنا ، ولا مفر من أن نرافقه نحو مائة ونيف من الصفحات ..

إنه أصلع الرأس حليق الوجه ، تعطيك صلعته وبشرته الملساء انطباعًا قويًا بالنظافة ، كأنما خرج من الحمام من فوره .. ممتلئ قليلاً ، له عينان رماديتان صافيتان كسماء يوم صيفى ..

لكن له عادة غير مريحة ، هى عادة الحملقة .. الحملقة حين لا تنظر له ..

وهكذا تنهمك أنت فى الكلام مع صديق ثـالث ، وتستدير نحـوه صدفـةً لتجده يرمقك باهتمـام ، كـأنك حيوان غريب ، ثم تلتقى العينـان فيبتسـم ابتسـامةً مشجعةً ـ أو يتظاهر بأنها مشجعة ـ وينظر فى اتجـاه آخر .. هذا ديدنـه الدائم ، وقد لاحظ كثـيرون فـى (سافارى) ذلك .

إنها عادةً سيئةً ـ والحق يقال ـ وتوحى دائمًا بأنـه يظهر عكس ما يبطن ، أو هـو يتظـاهر بـاللطف بينمـا يسخر منك فى سرِّه ..

لكن تعلمت كلما رأيته أن أحملق فى وجهه بثبـات ووقاحة طيلةَ الوقت ، فكلما رفع عينيه نحوى اصطدم بعينى الثاقبة الثابتة المتحدية كأنها صفعة على وجهه ، من ثم يهرب بعينيه بعيدًا ..

هذا هو كل ما يمكن قوله عن (فرانسوا دوبون) .. هل نسيت شيئًا ؟

آه .. نسيت سنَّه ومهنته وحالتـه الاجتماعيـة .. يا للتفاصيل !

(دوبون) فـى الخامسـة والأربعين مـن عمـره ، حاصل على الدكتوراه فى الأمراض العصبية ، كما أنه

مهتم بفسيولوجيا الجهاز العصبى .. عبقرى حاسبات آلية بشهادة من يفهمون هذه الأمور .. متزوج لكن امرأته ليست معه هنا .. هل نسيت شيئًا آخر ؟

دوره فى القصة ؟ صبرًا يا شباب .. لا يمكن أن أقدم كل شيء فى صفحتين وإلا ما كان من داع لهذا الكتيب أصلاً ..

إن أشياء رهيبة ستحدث ..

يمكننى أن أقسم على هذا ..

★ ★ ★

فى الأسبوعين التاليين لقدومه ، بدا لنا أن (فرانسوا) مكسب حقيقى لوحدة (سافارى) ؛ فهو لا يكف عن المرور لفحص الحالات .. وهو مَنْ علّمنا استخدام مستحضر الـ (دسفيرال) فى حالات الملاريا المُخية ، وعلمنا أن استعمال (الكورتيزون) لا يقدّم ولا يؤخر ..

ثم أقام - بنشاط لا يكلّ - ندوتين علميتين بارعتين عن (وهن الأطراف فى المناطق الحارة) وعن (فسيولوجيا النوم) ، وقد أعدّ كل شىء وحده ، بدءًا بالشرائح الضوئية الأنيقة ، والصور الفوتوغرافية

وعينات (الباثولوجى) المتقنـة .. ثم النـصّ العملى المتقن الذى راجعه بدقة بالغة ..

قال لى (بسام) فى حماسة :

ـ « إنه بارع حقًا .. » .

قلت وأنا أرفع حاجبى الأيمن فى تشكك :

ـ « يقولون فى مصر (الغربال الجديد له شَدَّة) .. لا أدرى إن كان عندكم فى (تونس) تعبير مشابه ، لكنى أتوقع أن حماس (فرانسوا) هذا لن يستمر إلى الأبد .. إنها طبيعة الأشياء .. »

وكان حماس المدير شديدًا لهذا الوجه الجديد ..

أكثر من مرة أشاد به ، وكثيرًا ما كنت تراه يتأبط ذراعه فى العنابر ، ليريه هذه الحالة أو تلك .. ودائمًا ما كان لدى (دوبون) ما يقوله ليبهرنا به ، ويجعلنا نكتشف جانبًا آخر نسيناه تمامًا ..

لم يكن فى (سافارى) مجال للطب التجريبى ، لكن (دوبون) بحماسته المعدية نجح فى إقناع المدير بأن يخصص له غرفة متسعة فى الطابق السفلى ، وراح بحماسة يعدها كى تكون معملاً ..

لقد دخلتها مرة ، ويمكننى أن أصفها لك بشىء من الدقة ..

أولاً ـ أول ما يلفت نظرك ـ هو جهاز الحاسب الآلى

الخاص بـ (دوبون) ، وقد أحضره معه عند مجيئه .. وهو جهاز مرعب حديث جدًّا يختلف عن أجهزتنا البائسة ، التى هى أقرب إلى آلات الجيب الحاسبة .. ويتركه مفتوحًا طيلة اليوم ، حتى لتشعر أن هذا الجهاز له حياة خاصة مستقلة ..

ثانيًا - ترى بضعة أقفاص بها قرود (الماكاك) التى اشتراها على حساب الوحدة .. وربما رأيت كلبًا فى قفص حديدى يرمقك فى تعاسة ، أو أرنبًا يلتهم جزرة ، أو ضفدعًا ذكرًا ينقّ مناديًا أنثاه ..

ثالثًا - توجد بضع أنابيب اختبار ملأى بسوائل ؛ مما يعطى المكان ذلك الطابع الذى لمعامل العلماء المجانين فى قصص الخيال العلمى .. وكل قصص الخيال العلمى بها علماء مخابيل يمارسون تجارب رهيبة سرًّا ..

رابعًا - توجد أسلاك كثيرة جدًّا ، ودوائر إلكترونية تبرز من جهاز معقد جدًّا - كأنه آلة الزمن - فى وسط المكان .

خامسًا - هناك لوح كتابة ، وجهاز عرض شرائح ، وثلاجة .. كل شىء يغريك بالعبث والتخريب ، لكن المعمل له مفتاح واحد مع (دوبون) وهو حذر جدًّا ، لذا استبدل بأقفال (سافارى) البلهاء قفلاً حديثًا ذا أرقام سرية ..

وعلى الباب كتب العبارة الرهيبة : (وحدة أبحاث الفسيولوجيا العصبية) .. وهى عبارة تذكرك بالدكتور (فرانكنشتاين) ، حتى إن اسم (دوبون) غير الرسمى فى (سافارى) صار هو دكتور (فرانكنشتاين) .. وقال بعض السود : إن الرجل يزرع رءوس كلاب للبشر والعكس ..

لكنى لا أبتلع الفكرة على كل حال ، بسبب عدم التناسب بين حجم العنق فى النوعين ، وهذا سبب كاف فى رأيى .. إن غطاء القلم الحبر لا يسمح بسدّ زجاجة مياه غازية .. هذا مؤكد ..

لقد كان (دوبون) وجهًا جديدًا شائعًا ، ينسيك الملل كحجر ألقيته فى بركة راكدة فأحدث دوائر ودوائر .. ثم انتهى كل شىء ، وعاد الماء إلى هدوئه القديم ..

لهذا ـ وتلك هى الحياة ـ بدأنا ننسى كل شىء عن الرجل ، ولم يعد سوى طبيب بارع من بين أطباء (سافارى) البارعين جميعًا ..

ثم فاجأنا الرجل بطلب متطوعين ..

والغرض : تجربة قارئ الأفكار الإلكترونى ..

★ ★ ★

٢ـ قارئ الأفكار ..

كانت السابعة مساء هى موعدى مع البروفسور (بارتلييه) ..

يوجد سبب مجهول لهذا .. السرّ الذى ينتظر فى مكان ما فى كهف مظلم أو فى قاع المحيط .. السرّ وراء استدعائى الدائم فى السابعة مساءً .. فهو وقت متأخر بالنسبة للعمل الروتينى ، ومبكر بالنسبة للمصائب الليلية ..

المهم أننى اتجهت إلى مكتبه كاتمًا لعناتى ، أو هامسًا بها بأسلوب (البرطمة) المعروف الذى لا أجد لفظة فصحى تعبّر عنه ..

كان هناك ، وفى هذه المرة لم يكن وحده .. كانت هناك نصف دستة من أطباء (سافارى) تبينت منهم (بسّام) و(جونستون) و(ماى فاى لين) .. لم أر (برنادت) لحسن الحظ .. إن الموضوع لا يتضمن إقحامها فى هذا كله ..

وأمام المكتب جلس (دوبون) فى موضع الصدارة يطرق للأرض كأنما البساط يثير اهتمامه إلى حدَ غير مسبوق ...

قال (بارتلييه) عندما رآنى :

ـ « .. وهذا د. (عبد العظيم) كذلك .. إن الجميع هنا .. » .

وجلب لى العامل (دايبلا) مقعدًا .. كان قد أحضر ستةَ مقاعد ، تزاحمت فى مكتب المدير الضيق ، فجلست جوار الباب متهيئًا للفرار فى أيةَ لحظة ، لو كان هناك من يبغى توريطى ..

قال المدير وهو ينتقى كلماته :

ـ « إن اليوم هو يوم مبارك .. لقد انتهى د.(دوبون) من تطوير اكتشافه الأخير الواعد ، الذى سيقدم لنا الكثير جدًا فى مجال فهم الجهاز العصبى .. لكنه ـ كأى اكتشاف آخر ـ يحتاج إلى متطوعين ، ونحن بحاجة إلى متطوع مثقف ذكى .. »

سألته وأنا أنظر إلى الباب الموارب :

ـ « متطوعين لأى شىء بالضبط ؟ »

ـ « هذا كلام سابق لأوانه .. من يتطوع يعرف .. »

تساءل (بسام) :

- « هل تجربته تتضمن غرس إبر فى الدماغ وأشياء من هذا القبيل ؟ إننا نهاب هذا النوع من التجارب على الجهاز العصبى .. »

تبادل المدير و (دوبون) النظرات ، ثم ابتسما ابتسامة من نوع (ألم - أقل - لك - إنهم - سيفكرون - فى - هذا ؟) .. ثم أشار المدير إلى (دوبون) برشاقة كى يتكلم ..

قال (دوبون) رافعًا عينيه للمرة الأولى :

- « دعنى أؤكد لك يا سيدى أن الأمر لا يتضمن هذا .. »

- « ولا تجارب على النوم ، وإيقاظ المرء كلما توغل فى النعاس ؟ »

- « ولا هذا .. »

- ولا عينات من السائل النخاعى الشوكى ؟ ولا صدمات كهربية ؟ »

- « لا شىء من هذا .. »

تبادلنا النظرات .. وهنا تساءل (ماتيو) أحد الأطباء الجالسين :

- « ولماذا لم تجرب على بعض المرضى أو العمال الأفارقة ؟ »

قال (دوبون) فى بساطة :

- « لأنهم يفكرون بالسواحلية أو (البانتويد) .. وأنا لا أفهمها ! »

ازدادت حيرتنا .. عم يتكلم هذا الرجل بالضبط ؟

هنا قال المدير موجهًا الكلام لى :

- « لم لا تقبل يا (علاء) ؟ إن هذا سيجعلنى راضيًا كما تعلم .. »

وهى الحقيقة .. تدريجيًا غدوت أنا الجدار المائل فى (سافارى) الذى لا يمكن أن يفكر أى شخص فى عمل مرهق أو عويص أو خطر دون أن تتداعى صورتى تلقائيًا .. إننى شاب وفى متناول اليد .. هلاكى أو ضررى لا يحدث خسارة كبرى ، ونجاحى لا يحتاج إلا لعبارة إطراء ..

قلت للمدير فى ريبة :

- « أنا مستعد للقبول لو كانت تجربته هذه لا تحدث ألمًا أو خبالاً .. »

- « أنا متأكد من هذا .. »

ـ « إذن أنا موافق .. Count me in »

قلت العبارة الأخيرة بالإنجليزية (اعتبرنى معك) ، وبلهجة فيها استهتار واندفاع ، كأننى راعى بقر أمريكى ، يوشك على ركوب ثور هائج ..

فبدا البشر على وجه المدير ، وأعلن انتهاء الجلسة . لقد وجدوا الأحمق الوحيد الذى يقبل .. وأنا لست أحمق لكنى فضولى جدًا ، وما دام ثمن المعرفة هو التطوع فلا مفر أمامى منه ..

ونهضت مغادرًا الغرفة مع جلادى ، شاعرًا بأنه يجذبنى خلفه بسلسلة وهمية لا يمكن تحطيمها ..

دعنا نر هذه التجربة ..

★ ★ ★

بالطبع كان مكان التجربة هو المعمل .. أين يجرون التجارب إذن ؟

أضاء مصباح المكان ، فتألق الضوء فى القاعة المظلمة ، واستطعت أن أرى الإعدادات الكثيرة ، التى أضافها للمكان كأنما لمسته عصا ساحر ..

تقدم إلى الثلاجة الأفقية فى ركن القاعة ، فأخرج منها زجاجة .. زجاجة من بين عشرات العينات

المجمدة لسوائل وأنسجة الجسم ، وصبَّ لى بعضًا منها فى كأس زاعمًا أن هذا عصير مانجو .. بالطبع لم أجرؤ على إعلان رأيى الحقيقى .. أمرنا للّه .. فلنشرب ..

- « اجلس يا د. (عبد العظيم) ريثما تشرب .. »

- « (علاء) .. »

- « ليكن .. وأنا (فرانسيس) .. ما رأيك فى هذا المعمل ؟ »

- « لو لم أجد مسخًا يستعد للنهوض فى ركن منه ؛ لبدا لى هذا غريبًا .. »

قلتها ورفعت عينى نحوه ، فوجدته يبعد عينيه عنى كعادته الذميمة فى اختلاس النظر لك وأنت غير منتبه .. وبدأ يضحك :

- « دعنى أؤكد لك أنه لا يوجد شىء كهذا .. فليس اسمى (فرانكنشتاين) .. »

وجلس على مقعد أمام شاشة الحاسب الآلى ، وقال :

- « دعنا لا نضيع الكثير من الوقت .. أنت تعرف جيدًا أن النبضات الكهربية هى ما يتحكم فى العقل البشرى .. الأفكار والعواطف والمخاوف هى اختلافات

فى تركيزات الصوديوم والبوتاسيوم عبر غشاء ..
وهنا الاختلاف يخلق فارقًا فى الجهد الكهربى ، هو
الذى يصدر الإشارة العصبية .. صحيح أننا لا نعرف
شيئًا تقريبًا عن هذا كله .. لكننا نحاول .. »

قلت وأنا أرشف السائل الأصفر عديم المذاق :

ـ « هذا معروف .. خالٍ من الشاعرية ، لكنه
معروف .. ولكن هل أنت حقًا مادى إلى هذا الحدّ ؟ »

فكان جوابه :

ـ « ربما أنا مادىّ .. لكن هناك ثغرة ما فى نظريات
الماديين .. هذه الثغرة هى ما يتسلل منه الروحانيون
ليعلنوا ما يؤمنون به .. ليس هذا وقت الجدل حول
أصل الكون وحقيقة الروح .. إننا متفقون على أن
شيئًا ما يحدث .. شيئًا يمكن قياسه كهربيًا .. »

ـ « مثل جهاز رسم موجات المخ .. »

ـ « وجهاز كشف الكذب .. كلاهما يقيس كهرباء
المخ هذه .. لكن الأخير يحاول شيئًا مهمًا .. يحاول
استشفاف حالتك النفسية .. بمعنى أدقّ هو يلقى نظرة
ثاقبة على محتوى ضميرك .. »

كان الحماس قد بلغ منه مبلغًا ، وصارت عيناه
تلتمعان وصوته أعلى .. ويبدو أنه حسب نفسه يلقى

محاضرة عامة .. وهنا خطر لى أن لدى هذا الرجل شعرة جنون ما .. إنها لدينا جميعًا ، لكنها لا تعلن عن نفسها إلا لمامًا وفى ظروف معينة ..

كانت هذه هى الظروف الملائمة لشعرة (فرانسيس دوبون) كى يتكلم . ثم أشار إلى شاشة الحاسب الآلى ، وقال :

- « لقد جمعت حشدًا من الشحنات الكهربية لعقول القردة والكلاب ، وهى تتألم .. تحلم .. تنتشى .. تموت .. وبالطبع استخدمت أسلوبًا أكثر تعقيدًا من رسام المخ الكهربى .. لدىّ التدفق الكهربى للمهاد والمهاد التحتى والقطان الطرفى والنخاع المستطيل وقشرة المخ البدائية .. ودعنى أؤكد لك أن كل عاطفة كانت لها شحناتها الخاصة .. »

هنا صحت وقد بدأت أفهم :

- « تعنى أن لديك أنماطًا قابلة للترجمة ؟ »

- « بل أكثر من هذا ! لقد صار الحاسب الآلى قادرًا على ترجمتها دون جهد .. أعطه ساعة من الشحنات الكهربية بعد تحويلها إلى ملف رقمى digital .. عندها يقدم لك شرحًا تفصيليًا بالغ الدقة لما شعر به الحيوان فى تلك الساعة .. »

كان يتكلم وهو يعابث أزرار الجهاز .. والتمعت على الشاشة أشياء فنادانى كى ألقى نظرة ..

نهضت والكوب فى يدى ، وفمى ملىء بما هو مانجو فرضًا .. ودنوت من الشاشة لأتأملها ..

الدقيقة ١٨,٠٠ : بدأ شعور الغضب .

الدقيقة ٢٧,٥٦ : هياج كامل .

الدقيقة ٣٤,١٦ : ألم فى الرأس .

الدقيقة ٣٩,٢٣ : استسلام ـ شعور بالخزى .

الدقيقة ٥١,١٧ : جوع ـ ألم فى الأحشاء .

الدقيقة ٥٥,٤٤ : لذة .

الدقيقة ٥٩,٣١ : شبع .

الدقيقة ٥٩,٥٩ : راحة

سألته وأنا أقرأ المكتوب بشفتىَ .

ـ « الدقيقة ٥٩ و .... هل هذه مشاعر كلب ؟ »

ابتسم فى خيلاء وقال :

ـ « بل مشاعر قرد (بابون) .. لقد أغضبته حتى ثار حنقه وانتابه هياج شديد .. ناولته ضربة بالعصا على رأسه .. ثم قدمت له بعض الموز ..

كل هذا حكته الشحنات الكهربية بدقة تامَّة .. »



نهضت والكوب فى يدى ، وفمى ملئ بما هو مانجو فرضًا ..
ودنوت من الشاشة لأتأملها ..

ـ « وكيف تسجَل هذه الشحنات لتتناسب مع الوقت ؟ »
ـ « (الكمبيوتر) يفعل ذلك .. توجد طريقة لتحويل الشحنات الكهربية وهى مُدخَل خارجى ، من النوع المطابق Analogue إلى مُدخل آخر من النوع الرقمى Digital .. وهى الطريقة الوحيدة التى يفهمها الكمبيوتر .. ثم يقوم بدقة بالغة بتوقيت ما يصله من شحنات ، مع فصلها إلى عشرة ملفات .. و ... هل لديك فكرة عن الموضوع ؟ »
ـ « بتاتًا .. كل ما أعرفه عن (الكمبيوتر) هو أنه الجهاز الذى يمكن أن تلعب ألعاب (الفيديو) عليه ، ويتلف فجأة حين تكون عليه ملفات مهمة وحيوية .. »
ـ « هذا هو كل ما تحتاج إلى معرفته على كل حال .. »
وبعبارة مسرحية قال :
ـ « أى ـ دون مبالغة ـ أنا أملك سجلاً كاملاً للمشاعر ها هنا .. كل شىء شعر به القرد وفكر فيه .. » .
قلت وأنا أشعر بعجزى عن ابتلاع المشروب والفكرة :
ـ « ولكن لحظة .. إن المشاعر البشرية أعقد

بمراحل مما يشعر به هذا الحيوان ، الذى يفكر فيما تحت قشرة المخ .. يمكنك أن تميز موجات الجوع والخوف والغضب .. لكنى أشك فى قدرتك على تمييز التردد أو الغيرة أو الحماسة أو ـ على سبيل المثال ـ التفاؤل المشوب بالحذر .. »

ابتسم كمن يقول لى (أنت لم تهزمنى) ، وقال :

ـ « هذا حق .. والسبب هو أن الحاسب الآلى لم يتعلم تمييز أطياف المشاعر هذه .. لكنه سريع التعلم .. يكفيه أن يعرف كيف يبدو الأمر كله ، وبعد هذا ستكون لديه قواعده الخاصة .. إننى ـ من قبل أن أسمع عن لغة الـ (ليسب) ـ كان لدىّ تصور مماثل عن لغة أخرى تقوم بالشىء ذاته .. »

نهضت لأتفحص شاشة الحاسب الآلى ، ويدىّ فى جيبى بنطالى ، وسألته :

ـ « .. والمطلوب منى أن أجلس هنا معك لأشعر .. وعليك أن تخمّن هذا الذى أشعر به .. »

قال فى بساطة كأنما هذا أمر مسلّم به :

ـ «طبعًا .. لكنى لن أخمن مشاعرك .. بل سأعرفها !»

وضغط بشكل خاصّ على الفعل الأخير ..

★ ★ ★

٣- مهـــرّج ..

كانت هذه بحق هى بدايةَ القصة ..

لهذا لا داعى للأسئلة السخيفة عن سبب ارتداء هذا الجهاز على رأسى .. إنه - كما ترون - لا يشبه الخوذة بل هو أقرب إلى طوق يلتف حول جبينى ، كما كان (بورج) يفعل فى مباريات التنس كى لا يضايقه شعره الطويل الأشقر ..

الحلقة ملأى بالأقطاب والدوائر المتكاملة ، ويخرج منها سلك يتصل بسماعة أولجتها فى أذنى اليمنى ..

نعم هو منظر غريب .. لكنه - بالتأكيد - لا يمتُّ لرواد الفضاء بصلة ..

وهأنذا أتذكر تلك المحادثة مع (دوبون) حين طلب منى وضع هذا الشىء على رأسى ..

قال لى وهو يبتسم بخبث :

- « لا تنس أنك تطوّعت ! »

- « لم أنس .. »

وتركته يضع حلقة المجانين هذه حول رأسى ، ويضىء أشياء فيها ، ويخرج أسلاكًا .. ثم قال وهو يفرك كفيه :

ـ « هكذا كل شىء يعمل جيدًا .. والآن عش حياتك وحاول أن تجرّب انفعالات كثيرة .. »

صحت مقاطعًا وأنا أنهض :

ـ « لحظة ! ألن أجلس فى معملك حتى ينتهى هذا كله ؟ »

قال وهو يضمّ أنامله مهدئًا :

ـ « بالقطع نعم .. ما نوع المشاعر والأفكار التى يمكن أن تفكر فيها فى معمل مظلم كهذا ؟ يجب أن تمارس حياة عادية ! »

ـ « أنت مخبول !! »

ومددت يدى لأنزع الطوق ، فصرخ محذرًا :

ـ « لو كنت مكانك لما فعلت ! إنك ستتلف جهازى .. »

ـ « هذا يسرّنى .. »

وتحسست الحلقة المعدنية ، وأردفت :

ـ « أعطنى سببًا واحدًا يمنعنى من نزع هذا الشىء .. »

ـ « الشرف ! أنت أعطيت وعدًا .. ثم العلم .. أنت ستجعلنا نعرف أكثر بالتضحية بمضايقة صغيرة كهذه .. أنا لم أطلب فتح بطنك ، ولم أطالب بانتزاع حبلك الشوكى .. كل ما أطلبه هو أن تبدو أحمق لمدة يومين لا أكثر ! »

بدا لى كلامه منطقيًا .. لم لا ؟ إن الأمر مسلٍ على كل حال ، ثم إننى لخليق بأن أجد لذة فى رؤية دهشة الآخرين ، ومقابلة سخريتهم باحتقار وتعالٍ علمىّ مهيب .. إنهم لا يعرفون ..

أضف لهذا أننى أملك ـ ككل شاب ـ رغبة فى التميز ولفت الأنظار ، ولو كان هذا بارتداء طوق معدنى على رأسى .. هناك من الشباب فى مصر من يقبل دفع مبالغ باهظة من أجل شىء كهذا ، ويسمى هذا (روشنة) .. فلم لا أقبل هذه الخدمة المجانية ؟

ستضحك كثيرًا فى اليومين التاليين ..

أنا واثق من هذا ..

قلت وأنا أعود للجلوس :

ـ « ليكن .. أكمل كلامك .. »

قال وهو يتنهد فى رضا :

ـ « حسن .. كل ما هنالك هو أن تخرج هناك .. ليكن موعد البدء هو السادسة صباحًا .. كل ما تشعر وتفكر به ستقوله فى سماعة جهاز اللاسلكى لأدوّنه عندى .. بعد يومين سيكون عندى تحليل شعورى لا بأس به .. هل ثمة أسئلة ؟ »

ـ « وماذا تستفيد من هذا ؟ »

ـ « أن أعرف ! »

قالها كأنما هى إجابة كافية لكل سؤال أحمق آخر .. سألته وأنا أنهض :

ـ « ألن تنتزع هذا الشيىء الآن ؟ تقول إننى سأبدأ غدًا فلا داعى لأن أنام بهذا القيد الحديدى .. » .

ـ « أنا بحاجة إلى تخطيط أحلامك ، ومستوى انفعالاتك فى أثناء النوم .. سيكون هذا هو خط القاعدة عندى .. »

وهكذا فارقته حاملاً تلكم الأضحوكة على رأسى .. لحسن الحظ كان الوقت متأخرًا وردهات (سافارى) خالية من الفضوليين .. صحيح أننى توّاق إلى رؤية دهشتهم ، لكن ليكن هذا فى ضوء النهار ..

إن ليلة عسيرة تنتظرنى حقًا ..

★ ★ ★

وفى الصباح نهضت ، شاعرًا بما يشعر به أى شخص آخر يقضى ليلة كاملة بطوق حديدى حول رأسه ، واضعًا الوسادة تحت عنقى كى لا أؤذى مئات الأسلاك والدوائر الحساسة بثقل رأسى ..

كانت الساعةَ السابعةَ صباحًا ، وقد بدأت التجربة منذ ساعةٍ .. بدا لى كل هذا سخيفًا ، لكننى قررت أن أبرَ بوعدى ..

مددت يدى إلى مكبر الصوت الذى يمكن طيُّه وفرده ليتدلى من الطوق ، فقربته من فمى كما يفعل الطيارون ، وقلت بصوت مسموع :

ـ « السابعةَ صباحًا .. أشعر بإرهاق شديد .. لم أنم جيدًا .. عنقى يؤلمنى كأننى دجاجة فى بلد لا يذبح الدجاج ، بل يهشم أعناقه .. أشعر بأن ما حدث لى أمس سخف .. وأحيانًا أجد (دوبون) مخبولاً ولا أعرف لماذا أطعته .. »

كان هذا كافيًا ، وبدأت طقوس الصباح المعهودة ..

ـ « السابعةَ وسبع دقائق .. يبدو أن الإمساك لم يتحسن .. »

ـ « السابعةَ وعشر دقائق .. آى ! لقد جرحت لحيتى .. كنت أحاول أن أشذب أطرافها .. »

ـ « السابعة واثنتا عشرة دقيقة .. الصلاة .. لا تنس أننى مسلم .. مشكلتى هى شرود ذهنى فى أثناء الصلاة .. لكنى لن أقطعها لأحكى لك ما أفكر فيه فى هذه اللحظات .. اللّه أكبر ! »

ـ « السابعة وست عشرة دقيقة .. أشعر بالجوع .. »

وأغلقت غرفتى ، وخرجت من جناح مساكن الأطباء قاصدًا المقصف .. لأتناول بعضًا من الطعام الردىء الذى تمتاز به (سافارى) ..

كان عشرات الأشخاص يلقوننى ليروا ذلك المشهد الغريب بعض الشئ : أنا أضع على رأسى طوقًا حديديًا ، وأكلم نفسى فى جهاز (ميكرفون) صغير الحجم ، ثم ـ الأسوأ ـ أتظاهر بأن هذا كله طبيعى !

دخلت المقصف وكان الجميع يثرثر ..

فما إن دخلت حتى ساد صمت ثقيل .. صمت له وزن وسُمك .. كان بوسعى أن أرى الطير فوق رءوس الجميع ..

تهامسوا بالإنجليزية .. بالفرنسية .. باليابانية ... بالإيطالية .. لكنى لم أحتج إلى أن أكون عميد (الألسن) كى أعرف ما يقولون ..

وهكذا اتجهت فى ثقة إلى فتاة الخدمة ، ومررت بالرفّ التقليدى حيث أملأ صينيتى بالتدريج من كل صنف ، ثم حملتها عائدًا إلى إحدى الموائد ..

أخرجت السماعة وبصوت مسموع قلت :

ـ « الطعام ردىء لكنى جائع .. »

والتهمت بعض المربى وضعتها على شريحة خبز :

ـ « السابعة والنصف : أشعر بلذة .. السابعة وخمس وثلاثون : مذاق القهوة المرّ على حلمات التذوق فى لسانى .. »

دنا منى طبيب إيطالى له جسم مصارع ، وسألنى متهكمًا :

ـ « هل افتتحوا سيركًا فى (سافارى) ؟ دعنى أعرف ! »

لم أردّ عليه .. إنما :

ـ « السابعة وواحدة وأربعون دقيقة : أشعر بالإهانة والغيظ .. أبحث عن ردّ مناسب على هذا الخنزير البرئ .. »

فى حنق صاح وهو يكوّر قبضته :

ـ « أنا خنزير برىّ ؟! يا لك من .... »

رفعت إصبعًا منذرًا فى وجهه :

ـ « حـذار ! أنـت تفسـد تجربة تتـم تحت إشراف البروفسور (بارتلييه) شخصيًا .. ولو عرف أنك تتدخل فى الأمر فسوف ... »

وجففت شفتى بالمنديل الورقى ، وغادرت المائدة ..

ومن جديد أستحم فى بحر من النظرات البلهاء .. لا أحد يفهم ما يحدث ، وأنا بدورى لا أقدم تفسيرات من أى نوع ...

★ ★ ★

وفى الاستقبال جلست أنتظر مريضى الأول حين يسمح له (بودرجا) بالدخول .. كان امرأة إفريقية تحمل وليدها على ظهرها كعادة الإفريقيات من (البانتو) ..

فما إن رأتنى حتى جحظت عيناها ، وتراجعت خطوة .. إن شكلى ولا بد يبدو كساحر قبيلة .. لكن أى ساحر ! بالتأكيد ساحر قوى متطوّر يتناسب سحره مع ضرورات العصر ..

كانت مذعورة لكنى ابتسمت ابتسامة مشرقة ـ أو هكذا ظننتها ـ ودعوتها بالإشارة للجلوس ..



فما إن رأتنى حتى جحظت عيناها ، وتراجعت خطوة ..

راح (بودجا) يترجم لى ما تقول ، وأنا أحـاول أن أركزَ فى الأعراض قدر الامكان ، لكنى فشلت ..

ـ « أشعر بفقدان تركيز تام .. »

فى غباء سألنى (بودرجا) :

ـ « هل تقول لى هذا يا دكتور ؟ »

ـ « بل أكلم نفسى بصوت مسموع .. أرغب فى استدعاء د. (برنادت) مختصة الأطفال .. »

كان الرضيع شيئًا ما يصرّ على اعتبار نفسـه كائنًا حيًّا .. وقد أدركت من حركـة صدره المتقطعـة أنـه يعانى التهابًا رئويًّا شعبيًّا ، لكنـى كنت عاجزًا عن اتخاذ قرارات أخرى مثل : هل هذا صحيح ؟ هل يوجد هبوط بالقلب ؟ إلخ ..

أخيرًا جاءت (برنـادت) ، فكوّرت أنفها بأسلوب (التشنيكة) كمـا نقول فى (مصـر) ، وهتفت أن (هاى) ..

ثم راحت تمرر سماعتها على صـدر الرضيع الذى لا يزيد حجمه على قطر السماعة إلا قليلاً .. وقرعت الصدر بأناملها مرتين ، ثم أعلنت تشخيصها ..

لكنى لم أصغ إليه لأنى تذكّرت مكبّر الصوت :

ـ « أشعر بحبٍ شديد ، وقلبى يرتجف فى ضلوعى .. »
نزعت السماعة عن أذنيها وتساءلت بحيرة :
ـ « أستميحك العذر ؟ لم أسمع ما قلت .. »
ـ « لا شىء .. »
تأملت الطوق الحديدى حول جبينى ، وابتسمت قائلة :
ـ « يا صغيرى المسكين ! يبدو أنهم جعلوك تقتنع بهذا .. »
ـ « لقد اعتدته على كل حال .. »
ـ « تبدو كأنما أنت فى فيلم خيال علمى .. هل شاهدت (رجل الأقطاب) ؟ لا ؟ كنت ستتذكر هذا المشهد دائمًا(*) .. »
ثم عادت إلى لهجتها العملية الجادة ، فقالت وهى تدس السماعة فى جيب معطفها ، وتتأهب للانصراف :
ـ « سآخذ هذه الحالة .. وداعًا يا (علاء) .. وأرجو أن تتخلص من قبعة المخابيل هذه .. »
وهكذا واصلت عملى وتدوين ملحوظاتى دون

(*) قصة شهيرة لـ (مايكل كرشتون) ، وهى تتحدث عن الفيلم السينمائى طبعًا ..

حماس كبير فى الواقع ، ولم أكف عن الشعور برجفة كلما تخيّلت عينى (دوبون) الصافيتين تتأملان كل فكرة ، وكل خاطرة ، وكل عاطفة شعرت بها طيلة اليوم ..

بل والأسوأ هو تخيّل هدير قرص الحاسب الآلى المحايد البارد ، وهو يحلّل ويفنّد دون رحمة كل هذا الخليط من المشاعر ..

ـ « إنها الثانية ظهرًا وأنا مُرهق .. »

قلتها وأنا أغادر العيادة ..

شتّان ما بين منظرى وأنا أدخلها منفوشًا منتفخ الصدر مزهوًا ، وبين منظرى وأنا أغادرها مهشمًا مضعضعًا أجرّ قدمىّ جرًّا ، كأحد جند (نابليون) فى سهول (روسيا) الجليدية ..

كان (ليفى) يعبر الردهة وهو يثرثر مع طبيبة نرويجية ، فلما دنوت منه أدنيت فمى من الميكروفون ، وبصوت مسموع قلت :

ـ « أشعر بكراهية واشمئزاز كأننى أرى سحلية .. »

ومشيت حثيثًا مبتعدًا عنه قبل أن يفهم ، أو يجد ردًّا لهذه الإهانة التى لا يفهم لها سببًا فى اللحظة الحالية ..

★ ★ ★

من حسن حظ (دوبون) أن يومى كان حافلاً حقًا ..

فى الرابعة عصرًا استدعانى (آرثر شلبى) إلى مكتبه .. فما إن دخلت فى تؤدة حتى راح يرمق الحلقة حول رأسى ، وقال :

ـ « جاش ! (يستعملها للتعجب) .. تبدو قادمًا من المشترى .. لكن من حسن حظك أن الجميع يعلم بموضوع التجربة ، فلا تخجل ولا ترتبك .. هناك كثيرون قد سخروا من الأخوين (رايت) .. والآن .. لا أحد يسخر من الطائرات .. »

ثم نفث دخان السيجار فملأ الحجرة ضبابًا ، وقال :

ـ « أنا بحاجة إليك .. لقد صار من الضرورى أن تتعلم شيئًا عن أساليب البحث العلمى ، ويبدو أن هذا هو الوقت المناسب .. »

كان جالسًا جوار شاشة حاسب آلى ، أشار إليها وسألنى :

ـ « هل تعرف كيف تفتش عن موضوع علمى ؟ »

ـ « إننى أكتب السؤال على شاشة الحاسب .. ويقوم هو بكل شىء .. »

ضحك كثيرًا حتى سعل ، وانسدل شعره الأشيب على عينه اليسرى ، وقال :

ـ « كح كح ! ليس بالضبط .. أنت ـ ككل من يجهل الحاسب الآلى ـ تحسبه رجلاً حكيمًا عجوزًا كل ما عليك أن تسأله وهو يجيب .. »

ثم داعب بعض الأزرار ، وقال :

ـ « إن هذا فى النهاية صحيح .. لكنه يحتاج إلى بعض الإجراءات .. ولسوف أعلمك الطريقة ، وتوفر علىّ أنت وقتًا لا بد أن يضيع فى فتح مواقع (الإنترنت) المختلفة .. »

وهكذا جلست أمام ذلك الصندوق اللعين ، أتعلم للمرة الأولى كيف أبحر فى ذلك العالم الفسيح ..

الحق أنها كانت ساعات ممتعة ، ولم أشعر بانقضائها قط إلا حين نظرت لساعتى لأجدها السابعة مساءً .

كان شِلْبى ـ بكسر الشين وتسكين اللام ـ عاكفًا فى الآن ذاته على كتابة نصّ ما لموضوعه البحثى ، ولم يضايقه طيلة الوقت سوى تعليقاتى فى الميكروفون :

ـ « أنا سعيد ـ أشعر بالرضا ـ هذا الرجل مفيد ـ أرتاب فيه لكنى معجب به الآن ـ يا للملل ! لقد فشل الاتصال ثانية .. »

قال فى تؤدة وهو يرمقنى من فوق إطار عويناته :

ـ « كل هذا جميل .. لكنى أفضل لو ظللت صامتًا بعض الوقت .. »

ـ « لا أستطيع .. لابد من تدوين ملاحظاتى باستمرار صوتيًا .. »

وهنا دوّى صوت المكبر يقول بالفرنسية ، وبصوت أنثوى رخيم من تلك الأصوات التى يجدن اصطناعها :

ـ د. (عبد العظيم) مطلوب فى مكتب المدير .. د. (عبد العظيم) مطلوب فى .. »

قال (شلبى) دون أن يرفع عينيه عن أوراقه :

ـ « يمكنك الانصراف الآن .. إن (لويس السادس عشر) يريدك .. »

وهو لفظ آخر من ألفاظه التهكمية المستمرة على المدير ، باعتباره طاغية فرنسيًا .. وهو ما لن أفهمه أبدًا . فالمدير هو آخر من يمكن اتهامه بأنه طاغية .. المهم أننى تركت غرفته ، واتجهت إلى مكتب المدير ..

المدير وأنا والساعة السابعة مساءً .. ثالوث مقدّس لا يمكن أن يتفكك .. ولا أفهم السبب .. فلو مات هذا الرجل لوجدت أن شبحه يطالبنى بزيارة قبره فى السابعة مساءً ..

وفى سماعة الميكروفون قلت تعليقى :

ـ « أشعر بالدهشة والغيظ بسبب استدعائى فى الموعد ذاته كل يوم .. أشعر بالقلق بصدد هذا الاستدعاء .. »

كان جالسًا إلى مكتبه يلتهم عشاءه البسيط ، المكون من الخبز المقدَّد وبعض الجبن وكوب من الحليب .. إن هذا الرجل يسكن مع امرأته وابنته على بعد عشر دقائق مشيًا من وحدة (سافارى) ، لكنه ـ يقال هذا وأصدقه ـ لم ير امرأته سوى ثلاث مرات فى حياته ، ويبدو أنه لن يعرفها إذا رآها فى مكان غير بيته ..

فما إن رآنى حتى ابتسم ، وكان الحليب قد جعل له شاربًا أبيض صغيرًا فوق شفته العليا ، فابتسمت بدورى وقلت فى الميكروفون :

ـ « مشهد مضحك حقًا .. »

لم يعلق ولم يفهم الدعابة ، وقال وهو يدعونى للجلوس :

ـ « أنا مسرور بكونك تطبق التجربة حرفيًا .. »

قلت له فى ريبة :

ـ « يبدو لى الأمر دعابة سخيفة .. إن (سافارى) تفقد الكثير من مصداقيتها واحترامها العلمى بترك العنان لكل أولئك المخبولين .. »

ـ « أنت لا تعرف (دوبون) .. »

قالها وأزاح الطعام جانبًا ، وجفف شاربه الأبيض بمنشفة ورقية :

ـ « .. الرجل حجة فى فسيولوجيا الجهاز العصبى ، ويعرف جيدًا ما يقوله .. المختصون فقط يعرفون مدى حظنا السعيد إذ قبل رجل كهذا أن يعمل معنا .. وحين يقول (دوبون) إنه قادر على قراءة الأفكار فأنا لا أبتسم وأتهكم .. بل أهتم .. » .

قربت الميكروفون من فمى ، وقلت بصوت عال :

ـ « الساعة السابعة والربع مساء .. أنا أقترح على المدير أنك نصاب ، لكنه ليس متحمسًا لهذا الافتراض .. »

ابتسم من جديد .. ثم رسم الجدِّية على ملامحه وقال :

ـ « دعنا من المزاح الآن .. ولنتكلم فى ... قل لى : هل أنت واثق من أن هذا الميكروفون خاضع لإرادتك ؟ لربما كان جهاز تصنت يعمل طيلة الوقت .. »

هززت كتفى :

ـ « لا أدرى .. وما من وسيلة للتأكد .. ولكن لماذا ؟ »

ـ « لأن ما سأقوله لك يجب أن يظل بعيدًا عن (دوبون) .. »

ثم تناول مفكرة صغيرة خطّ عليها بضع كلمات بخطه الأنيق الشبيه بخط فتاة ، وناولنى إياها لأقرأ المكتوب :

ـ « لا تتكلم بصوت عال .. أريد منك أن تكون حذرًا .. »

تناولت قلمه الموضوع على المكتب ، وكتبت له بحروف واضحة :

ـ « حذرًا من أى شىء بالضبط ؟ »

تناول القلم والمفكرة وكتب :

ـ « إن طموح (دوبون) لا يقف عند حدّ .. وحتمًا سيتجاوز الحدود التى يقرّها الدين والعرف فى تجاربه .. أريد منك أن تكون موجودًا فى لحظة كهذه .. »

فتناولت القلم بدورى وكتبت :

- « كيف يتجاوز الحدود ؟ »

فخطَّ لى :

- « لن أفصح الآن .. لكنى أتوقع أن يحاول القيـام بتجربة محرَمة ! »

★ ★ ★

٤ـ الأخ الأكبـــر ..

انتهت المحادثة السريةَ بعد نصف ساعة ، فعدت إلى عملى ..

ماذا قيل فيها ؟ ألم أقل إنها سريَةّ ؟ إن السرَ يُعتبر مُذاعًا إذا عرفه أكثر من اثنين .. فماذا عن السرَ الذى يعرفه القراء كلهم ؟

دعونا ننس هذا مؤقتًا لبضع صفحات أخرى ..

★ ★ ★

والآن لن أخوض فى تفاصيل اليوم الثانى ..

إنهم يستعملون فى الأبحاث العلمية لفظة Ibid اللاتينية ، التى تعنى (نفس المرجع السابق) ، وفى السيناريوهات السينمائية يقولون (نفس المكان - نفس الثياب) .. حسن .. ربما كان من الأوفق أن أجد لفظًا قريبًا من هذا .. لقد تم كل شىء بالأسلوب ذاته ..

وفى المساء كان علىّ أن أدخل معمل (وحدة

أبحاث فسيولوجيا الجهاز العصبى) ، كى أنزع الطوق الحديدى المقيت من حول رأسى وأعيده لـ (دوبون) فطلب منى أن أضعه فى كيس بلاستيكى على المنضدة ..

شعرت لحظتها أن قمة رأسى تنبض بالدم الشريانى الذى حرمت منه يومين كاملين ، حتى إن هذا كان مؤلمًا ..

وعلى الشاشة رأيت مشهد الموجات العتيد مع محور أفقى يشير إلى الوقت ، وكان لذلك توقيت خاص على غرار (الساعة ٤١) و(الساعة ٤٧) .. وكانت هناك أسهم خضراء على المحور السينى تشير بعبارات على غرار (الموضوع يشعر بالقلق) أو (الموضوع جائع) .. بدا لى هذا مهينًا .. وقلت لـ (دوبون) :

ـ « أنا موضوع ؟ »

ابتسم وهو يتصفح الشاشة بالسهم الأيمن ، وقال :

ـ « لا مفرّ من هذا لو أردنا أن نكون موضوعيين .. »

جلست مسترخيًا شاعرًا بلذة العبد الذى تحطم قيده ، وسألت :

ـ « هل فرغت من تحليلى ؟ »

ـ « الحاسب عاكف على ذلك .. وهو فى صدد تكوين لغة كاملة حروفها هى موجات الدماغ .. ولكنْ لدىَ سؤال .. »

رفعت عينى إليه فأبعد عينيه سريعًا كدأبه ، وسألنى :

ـ « .. لدىَ موجات شاذة لم أعهدها من قبل تتوافق مع ما حدث لك أمس .. أريد فهم ما كنت تفعله آنئذ فى السابعة مساء .. بالتحديد بين السابعة والسابعة والنصف ؟ لقد كففت عن إملاء أفكارك حين دخلت مكتب المدير ! »

أسقط فى يدى لبرهة ..

هذا الرجل دقيق جدًّا .. لكنى أملك إجابة مُسكتة لحسن الحظ :

ـ « كنت أتلقى التقريع ، وما كان تسجيل هذا مستحبًا .. »

هزَّ رأسه كمن فهم .. وابتسم ، عندها قلت لنفسى : ذلك الرجل كان يتنصت على المحادثة بلا شك .. أعنى أنه لم يسمع أية محادثة وهذا معناه أننى كاذب ..

لا يهم .. فلست مطالبًا بإرضائه أو نيل ثقته ..

سألته وأنا أنهض :

ـ « أية خدمات أخرى ؟ »

ـ « حاليًا .. لا .. شكرًا .. لكننا سنحاول بعد يومين أن نقرأ أفكارك دون استرشاد منك ، وبمعونة الحاسب الآلى فقط .. »

ـ « سيكون هذا مثيرًا .. »

ونهضت مغادرًا معمله ، وأنا أشعر بعدم رضا .. غدًا سيكون علىّ أن أعيد ارتداء قبعة المخابيل هذه .

★ ★ ★

ولم يكذب الرجل خبرًا ..

بعد يومين جاءنى من يطلبنى إلى مكتب المدير . فتوجهت إلى هناك متوجسًا ، خاصة أنها لم تكن السابعة مساءً ..

وكان (دوبون) هناك عاكفًا على تأمل المدير ، بينما هذا الأخير ينظر فى اتجاه آخر .. تبًّا لنظراته الناقدة العدائية المتهكمة هذه ! لماذا يعطى إنسان لنفسه حق إطالة النظر فى الآخرين ؟

ثبت عينىّ على عينيه ، وأقسمت ألا أبعدهما أبدًا ..

قال بروفسور (بارتلييه) :

ـ « والآن يا عزيزى (علاء) .. نحن نريد منك ارتداء هذه القبعة لمدة يومين آخرين .. فى هذه المرة ستلتزم الصمت تمامًا .. »

هززت رأسى فى ملل :

ـ « أعرف .. وعلى الحاسب الآلى أن يحاول استنتاج ما أشعر به من موجاتى المتعددة .. »

ـ « هذا يجعل مهمتنا أيسر .. »

هنا تدخل (دوبون) وقد أغاظه أنه عاجز عن تأمُّلى خلسة :

ـ « لحظة .. سيكون على د.(علاء) أن يدوِّن ما يشعر به بدقة .. وكتابة .. مع التزام الحرص فى تسجيل الساعة .. هذا سيجعل لهذه الدراسة بعدًا شائقًا يمكن قياس حساسيته وخصوصيته .. »

قال البروفسور (بارتلييه) مفسرًا لى :

ـ « حساسية الاختبار هى قدرته على تحديد النتائج الإيجابية .. أما خصوصيته فهى قدرته على استبعاد النتائج السلبية .. هل درست علم الإحصاء ؟ »

ـ « للأسف لا .. »

ـ « إذن حان الوقت لذلك .. والآن يمكن بدء الجزء الثانى من تجربتك ، ولسوف نلتقى هنا بعد يومين آخرين لنرى ما وصلنا إليه .. »

ونهضت حارصًا على ألا أفارق عينى (دوبون) لحظة واحدة ، فتقدمنى إلى المعمل ..

هناك قام بتركيب الطوق المعدنى والأقطاب إياها ، لكنه استثنى مكبر الصوت .. سيقوم الطوق بإرسال موجات دماغى فى إشارة لاسلكية إلى جهاز الحاسب العملاق الذى يطلق عليه (دوبون) اسم (الأخ الأكبر) .

ـ « (الأخ الأكبر) » ـ قال (دوبون) مفسرًا ـ « هو جهاز الحاسب العملاق الذى كان يراقب كل شىء فى العالم ، ويجثم على أنفاس الناس ويحكمهم فى رواية (جورج أورويل) المسماة (١٩٨٤) .. أعتقد أنها تسمية مناسبة جدًّا .. كان الناس ـ فى الرواية ـ يلقون فى كل مكان لافتة تقول : تذكر أن الأخ الأكبر يراقبك .. ! »

ـ « سأتذكر هذا .. »

★ ★ ★

وهكذا عشت حياتى فى اليومين التاليين ، أمارس كل أنواع الانفعالات .. أثور حتى يغلى دمى ، وأضحك حتى ينشقَ جنبى ، وأحلم حتى يتلاشى وجودى ، وآكل حتى تختنقنى الذبحة ..

فقط كنت أوقع ملاحظات صغيرة فى مفكرتى من آن لآخر ..

الساعة ٩:٤٥ مغص شديد .

الساعة ١٠:٢٥ إصبع قدمى الأيسر يؤلمنى .

الساعة ١١:٣٠ أشعر باشمئزاز شديد إذ أرى جرحًا ملوثًا فى ساق طفل من (البانتو).

الساعة ١١:٤٥ أشعر بالرضا .. لقد نظفته بعناية ..

وهكذا استمررت فى هذا العمل الغريب .

ليس شيئًا معتادًا أن ترى إنسانًا يدوّن سطورًا فى مفكرته كلما مرّت ثلاث دقائق .. لكن هذا ما حدث ، وقد حرصت على الكتابة بالعربية منعًا لتطفل المتطفلين .. إن هؤلاء (الأعاجم) لا يفهمون حرفًا من العربية لحسن الحظ ، ويرونها نقوشًا زخرفية جميلة .

أخيرًا انتهى اليومان ، فاتجهت إلى مكتب المدير

لأنتزع قبعة المخابيل وأضعها على مكتبه ، وأتنهد تنهيدة الخلاص ..

- « لقد انتهيت يا سيدى .. وأتعشم أن أكون قد بررت بوعدى .. »

ابتسم مسيو (بارتلييه) وانتفخ لغده المكتنز فى رضا ، وقال :

- « حقًا بررت ، وآن أن تستريح قبل أن يصير اسمك الرسمى هو (رجل الأقطاب) .. لقد سمعت هذا النعت مرارًا مقرونا باسمك ، ويقولون إنك تثير هلع الأطفال .. »

- « هذا شرف لا أدعيه .. »

ثم سألته وأنا أتجه للباب :

- « ألم يتحقق من مخاوفك شىء ؟ »

- « نعم .. ويبدو أننى عجوز متشكك .. إن الشيوخ يصابون بالـ (بارانويا) أكثر من سواهم ، ويتوقعون أخطارًا لا وجود لها .. »

هززت رأسى موافقًا ، ولم أبد اللياقة المطلوبة كى أقول له إنه ليس عجوزًا أو أى شىء من هذا القبيل .. وغادرت الغرفة ..

★ ★ ★

فى الصباح جاء (دوبون) إلى قسم أمراض الأنف والأذن والحنجرة ، حيث كنت مكلفًا بالعمل اليوم ..

كنت جالسًا جوار د.(ألبرتو بوتسو) أحاول ـ فى تعاسة ـ أن أتحكم فى اتجاه الضوء المنعكس من المرآة المعلقة من جبهتى ، وهو أمر يبدو سهلاً لمن لم يجرّبه .. لكنك تدرك على الفور أنك عاجز تمامًا عن السيطرة على بقعة الضوء التى تتحرك بجنون فى كل صوب عدا حلق المريض ..

قال د.(بوتسو) باسمًا بلهجته الإيطالية الظريفة :

ـ « صبرًا .. صبرًا ! لقد كان تعلم المشى أصعب من هذا لكنك مشيت برغم كل شىء .. »

ـ « لا أعتقد أنه من السهل تعليم كلب عجوز حيلة جديدة .. » .

ـ « أنت لست كلبًا عجوزًا .. أنت كلب شاب ! »

هنا ظهر (دوبون) ببسمته الصافية المتألقة ، كأنما يشاركنا المحادثة على الفور .. وكأن ما سمعه ممتع حقًا ..

قال مستأذنًا د. (بوتسو) :

ـ « لا أدرى إن كان من حقى أن آخذ مساعدك .. »



كنت جالسًا جوار د . (ألبرتو) أحاول . . في تعاسة -
أن أتحكم في اتجاه الضوء . .

رفع (بوتسو) يديه فى حركة درامية ، قائلاً :
ـ « إنه لك .. فهو يزيد متاعبى ها هنا .. » .
خلعت الطوق الكريه من رأسى ونهضت .. لقد صار قدرى فى (سافارى) أن أضع كل أنواع الأطواق حول رأسى طيلة الوقت ..
ولكن ماذا يريد (دوبون) منى ؟
خارج العيادة حيث احتشد الأهالى كل ينتظر دوره ؛ قال لى (دوبون) وهو يتأبط ذراعى فى مودة :
ـ « الآن نقارن ما كتبته أنت مع ما سجّله حاسبى الآلى .. »

★ ★ ★

راح يتابع المكتوب على الشاشة ، ثم سألنى :
ـ « لنبدأ .. أعتقد أنك شعرت بألم فظيع فى الساعة ٩:٤٥ صباح اليوم الأول .. وكل شىء يوحى بأنه مغص فى بطنك .. »
فتحت المفكرة التى أخرجتها من جيب معطفى ، وقرأت المكتوب :
ـ « الساعة ٩:٤٥ .... مغص شديد .. »
ـ « وفى الساعة ١٠:١٥ .. شعرت بقلق عارم ..

ربما كان السبب هو تفكيرك فى أهلك النائين عنك .. »

أعدت تأمل المفكرة .. ولم أجد ما أقول ..

واصل القراءة بصوت محايد :

- « الساعة ١٠:٢٥ .. ألم حاد آخر .. التخطيط الطوبوغرافى لقشرة المخ يقول إنه ألم فى إصبع القدم الأيسر .. » .

هنا أغلقت المفكرة ، ونظرت نحوه متسائلاً ..

- « هل هذا صحيح ؟ »

- « ما هو الصحيح ؟ »

- « لقد تمكنت من قراءة أفكارى حقًا ! »

قال وهو يبتسم فى انتصار :

- « لم أقرأ أفكارك بل قرأت مشاعرك وأحاسيسك .. وعلى كل حال لا توجد شعوذة فى الموضوع .. كل ما هناك هو منطق علمى صارم وقياس دقيق .. فى الساعة ١١:٣٠ يبدو لى أنك تشعر باشمئزاز قاتل .. هل هذا صحيح ؟ »

- « حقًا .. »

راح يتفقد الشاشة بالأسهم الجانبية ، ثم توقف عند قراءة ما ، وقال لى :

- « لكن هناك مشاعر لم يستطع الحاسب الآلى تمييزها .. مثلاً فى الساعة ١٠:٣٠ صباح أمس .. توجد موجات اكتفى الحاسب الآلى بوضع علامات استفهام عندها .. بم شعرت فى هذا الوقت بالضبط ؟ »

تأملت مفكرتى وقلبت صفحاتها ، ثم قلت :

- « الواقع .. لم أدوّن شيئًا .. لكنى بالتأكيد كنت فى غرفة الجراحة مع د. (الفريد) الجراح الدانماركى .. لم يحدث شىء ذو بال .. »

هزّ رأسه فى حيرة ، ثم واصل تفقد الموجات ..

- « وماذا عن الساعة ٤:١٠ مساء أمس ؟ »

- « كنت أقتل ثعبانًا .. »

رفع حاجبيه فى عدم فهم ، فقلت موضحًا :

- « حقًا .. كان هناك ثعبان فى الحديقة .. »

- « أسامّ هو ؟ »

- « لا أدرى (موديلات) الثعابين .. لكنها كائنات كريهة كلها .. إن غير السام منها يثير الهلع ، وهذا سبب كاف لقتله .. لقد دسته بحذائى ثم كدت أبتر ساقى تقززًا بعدها .. »

كتب بعض الكلمات على الأزرار أمامه ، ثم هزّ

رأسه شاكرًا لى ، وقال إنـه سيتصل بى حتمًا لمزيد من الأسئلة :

- « هذا ديدن برامج الذكاء الصناعى .. إن الكمبيوتر يتعلم من أخطائه ويزداد حكمةً مع كل تشغيل .. التجربةَ التاليةَ ستكون أكثر دقةً .. وهكذا دواليك .. »

- « لكنى لن أكون فيها .. »

- « بالتـأكيد .. لا بد من موضـوع جديـد نقـوم بقياسه .. »

نهضت لأنصرف ، ثم قررت أن أسأله واحدًا من أسئلتى الغبية :

- « ما جدوى هذه التجربة ؟ »

- « المعرفة ! »

قالها ببساطة كأنما كان يتوقع السؤال ، وأردف :

- « .. المعرفة من أجل المعرفة .. هدف كاف فـى حدّ ذاته .. مثلما دعا (ليلوش) إلى الحياة للحياة .. وأعتقد يا د.(علاء) أنـك أذكـى مـن أن تسـألنى عن فائدة جهاز يقرأ المشاعر .. »

سؤال غبى آخر :

- « حقًا .. ما فائدة جهاز يقرأ المشاعر ؟ »

ابتسم لهذا التحدى ، وقال :

ـ « سنفهم الكثير عن فسيولوجيا الجهاز العصبى ، ونتعلم كيف يشعر من لا يجيدون التعبير عن أنفسهم .. هل هذا كاف ؟ »

ـ « مؤقتًا .. »

واستدرت مغادرًا المكان ، شاعرًا بنظراته الباردة على مؤخرة رأسى .. وتمنيت ألا أسمع عنه لفترة لا بأس بها ..

★ ★ ★

تذكر .. أن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

٥ ـ أحدهم قتل أحدهم ..

الضوضاء المعتادة ..

أقدام في الردهة .. ثرثرة .. صرخات .. كلام بكل اللغات في برج (بابل) هذا الشهير باسم (سافاري) ..

غادرت عيادة الأنف والأذن مع د. (بوتسو) ، ونظرنا في غباء إلى ما يحدث .. وكل مصائب (سافاري) تتخذ دومًا المظهر ذاته ، ولربما تدور الأحداث بالسرعة ذاتها وتقال الكلمات ذاتها ..

تبادل حديثًا سريعًا مع طبيب إيطالي يعبر الردهة ، وبالطبع لم أفهم منه حرفًا .. ثم قال لي مفسرًا ..

ـ « جثة في خزانة التنظيف ! »

هكذا إذن ! حمدًا لله .. حسبت الأمر خطيرًا .. ولكن ...

جثة ؟ جثة في خزانة التنظيف ؟ وفي (سافاري) ؟ يبدو الأمر عسيرًا على التصديق ..

انطلقت أركض في الممر باتجاه الراكضين المهرولين .

وأخيرًا وجدت الخزانة المذكورة .. كانت أقرب إلى باب خشبى فى الجدار ، وقد فتح هذا الباب فسقطت منه بعض المكانس على الأرض .. واستطعت أن أرى شيئًا ما .. شيئًا يبدو كجثة ولا يتحرك كجثة .. إنه جثة دون شك .. جثة عملاق زنجى أصلع الرأس ، وقد أدركت دون عسر أنه مقيد اليدين وراء ظهره ..

كان الزحام كثيفًا ، ومن العسير أن تتبين إلا لمحة وسط الرءوس ، التى تسدّ عليك مجال الرؤية فى كل ثانية ، حتى تذكرت الصحفيين إذ يحاصرون وزيرًا ذا نفوذ ، فترى أحدهم يرفع الكاميرا فوق الرءوس ليلتقط صورة عشوائية كيفما تكون ..

أخيرًا وجدت موطئًا لقدمى وعينى ..

هأنذا أتبين رجلى أمن إفريقيين يجثوان على ركبتيهما جوار الجثة ، ويتحسس أحدهما النبض ثم يرفع رأسه ليقول فى أسى :

ـ « إنه ميت ! »

يا سلام ! يا لها من عبقرية ! حقًا ميت ولكن متى ؟

إن قواعد الطب الشرعى الصارمة تقول :



إنه جثة دون شك .. جثة عملاق زنجى أصلع الرأس ، وقد أدركت دون عسر أنه مقيد اليدين وراء ظهره ..

ـ جسم دافئ ولا تصلب : المـوت تـمَ منذ أقل من ثلاث ساعات .
ـ جسم دافىء مع تصلُّب : الموت حدث منذ ٣ ـ ٨ ساعات .
ـ جسم بارد مع تصلُّب : الموت حدث منذ ٨ ـ ٣٦ ساعة .
ـ جسم بارد ولا تصلب : الموت حدث منذ أكثر من ٣٦ ساعة .
ـ التعفن : الموت حدث منذ يومين إلى ثلاثة .
لمـاذا أقول هذا ؟ لأننى ـ من موضعى البعيد وسـط الزحام وبخبرتى الضئيلة ـ استطعت أن أميِّز التصلُّب الرمَى .. ومعنى هذا أن الموت تم منـذ ثـلاث سـاعات إلى يوم ونصف .. ومـن الواضـح أن الجثـة بـاردة .. لونها يؤكد هذا .. إذن مـات التعس منـذ يـوم تقريبًا أو أقل ..
وحتى من هذا الموضع استطعت أن أعرف الرجل ..
هل تذكرتمـوه ؟ إنـه (موزنجـا) .. ضـابط الأمـن الكاميرونى الذى يذكره كل من قرأ رواية (الحريق) .. العملاق الأسود المتأنق الذى يتضمخ بعطر دسم خانق

- أشم رائحته من هنا - والذى لم يكف عن اتهامى بإشعال الحرائق ..

الأمر واضح الآن .. هناك جريمة .. فليس من المعتاد أن يسجن المرء نفسه فى خزانة التنظيف .. ولكن كيف ؟

رأيت البروفسور (بارتلييه) يشق الطريق وسط الزحام ، حريصًا على أن يحتفظ بكل أجزاء جسده البدين فى مكانها .

كان الجدّ والهمّ على وجهه .. ولا ألومه أبدًا ..

كل المديرين يمقتون أن تتم الجرائم - خاصة القتل - فى المؤسسات التى يديرونها .. ولا أدرى سببًا لذلك فى الواقع ..

انحنى يتفحص الجثة المقيدة والحسرة تغمر ملامحه ، ثم مدّ يده ليلتقط شيئًا جوار الجثة .. كان كيسًا من البلاستيك الشفاف .. رفعه ، وهنا قال له أحد رجلى الأمن شيئًا فألقاه على الأرض وهزّ رأسه معتذرًا .. طبعًا أمره بألا يفسد البصمات ...

وبعينين لا تريان راح (بارتلييه) يتفقد الوجوه الفضولية حوله ، ثم قال مفسرًا للا أحد :

- « اختناق ! لقد قيد القاتل يديه ثم وضع الكيس على رأسه كى يخنقه ! »

تصاعدت شهقات الرعب من الجميع ..

وتقلصت أمعائى لهول الفكرة .. إنها لميتة بشعة حقًا ، يبدو إطلاق الرصاص على الرأس نوعًا من التدليل مقارنة بها ..

ولكن لماذا ؟

لماذا يقتل إنسان (موزينجا) ؟ ولماذا يقتله بهذه الطريقة الشنيعة ، فى حين يكفى مسدس صغير لإنهاء الموضوع ؟ ثم كيف يستطيع إنسان أن يقيد (موزنجا) ويجرّه إلى هذا المكان ؟

ربما كان المدير يعرف أكثر ..

★ ★ ★

لكن المدير لم يطلب رأيى ولم يخبرنى بما يعرفه .. هذا متوقع طبعًا .. فلست من القيادات المهمة فى (سافارى) ، أو أولئك الذين يجب وضعهم فى الصورة .. أنا مجرد ترس يعمل فى آلة عملاقة ، ولا أمثل سوى واحد من مائة من عالم المدير واهتماماته ..

إننا نعطى أنفسنا أهمية أكثر من اللازم لمجرد أننا

نحن .. نتصور أن العالم لم يُخلق إلا ليحيط بنـــا ، والأرض لم تُخلق إلا لنمشى عليهـــا ، والسمـاء لـم توجد إلا لنجد ما نراه حين ننظر لأعلى ..

حقًا لم يخبرنى المدير بشىء لكنى سمعت إشاعات متناثرة ..

لقد هوجم (موزنجا) من الخلف ، تلقى ضربة على مؤخرة رأسه أفقدته الوعى ثم جرّه القاتل جرًا إلى هذا السجن .. بعدها أحكم تقييده ووضع الكيس البلاستيكى فوق رأسه ليخنقه ..

ولكن لماذا انتزع الكيس بعد انتهاء مهمته ؟

لم يجد أحد تفسيرًا لذلك ، كما لم يجد أحد تفسيرًا لهذه الميتة البشعة .. يبدو أن عصر الطلقة فى الرأس ، والطعنة بين لوحى الكتف قد انتهى .. ويالـه من عهد سعيد بالنسبة لما نحن بصدده !

★ ★ ★

فى المساء ذهبت للقاء (آرثر شِلْبى) - بكسر الشين وتسكين اللام - كى أخوض معه بحـار (الإنترنت) ..

كنت قد تعلمت أسلوب صيادى اللؤلؤ الكويتيين فى

دخول هذه الشبكة : آخذ نفسًا عميقًا .. أغطس عشر دقائق .. ثم أصعد إلى السطح كى أصنف ما استخرجت من لآلىء ..

ومع الوقت ازددت كفاءة وسرعة ، وصرت أستهلك دقائق أقل فى البحث عما أريد ..

ـ « لا بأس .. لا بأس .. أنت تتحسن أيها الشاب .. »

قالها (شلبى) وهو يتأمل ما أخرجته له الطابعة من مقتطفات علمية جلبتها له .. كان يفتش عن بعض أنواع (الأميبا) التى تهاجم الجهاز العصبى ، ولم يكن واثقًا من وجودها فى (الكاميرون) .

قلت دون أن أنظر إليه :

ـ « إن العرب يتعلمون سريعًا .. كأنما يحاولون تعويض الفجوة الحضارية فى أقصر وقت ممكن .. بالمناسبة .. هذا الحاسب الآلى يعتبر لعب أطفال إذا قورن بالحاسب الخاص بـ (دوبون) .. »

ـ « تبًا له من مخبول ! »

ابتسمت وسألته متحققًا :

ـ « هل حدث شىء جديد ؟ »

ـ « لقد طلب منى أن أسمح له بتجربة جهازه على

مرضى الملاريا المخيّة .. تصوَّر هذا ؟! مريض فى غيبوبة يوشك على لفظ آخر أنفاسه ، ثم يجىء الأخ (دوبون) ليضع على رأسه طوق الكلاب الحديدى هذا .. »

- « ووافقت ؟ »

- « بالطبع لا .. فليجرّب ما يريد بعيدًا عن مرضاى .. »

- « لكنك قلت إن الجميع سخر من الأخوين (رايت) و ... »

- « حتى (هومير) يحنى رأسه .. ألم تسمع بهذا ؟ »

هنا - كالعادة .. دوّى صوت مكبّر الصوت يستدعينى لغرفة المدير .. شهقت فى أسى ، ونهضت كى ألحق بالنداء ..

قال (شلبى) :

- « من جديد ؟ هذا الرجل متيم بغرامك .. »

- « بل أنا فى متناول اليد أكثر من اللازم .. قريبًا سيطلب منى أن أحكى له حدوتة ما قبل النوم .. »

وغادرت المكان وأنا أتساءل عن سبب الاستدعاء الجديد ..

★ ★ ★

من اللحظة الأولى عرفت أن الأمر خطر ..

كان المكتب زاخرًا بالرجال السود ـ سود الثياب والوجوه والأفكار ـ تلتمع جلودهم فى الضوء الخافت ، ولا يبدون على استعداد للمزاح ..

قال لى بروفسور (بارتلييه) وهو يدوّن شيئًا فى ورقة :

ـ « اجلس يا (علاء) .. »

لم أجد مقعدًا خاويًا ، لكنى آثرت عدم الاعتراض ، لهذا جلست شبه واقف على مسند أريكة جوار أحد الضيوف ..

لا حاجة للسؤال .. هؤلاء القوم رجال شرطة جاءوا من (أنجاوانديرى) ، وكلهم شكوك وقلق .. وفى الغالب يجرون استجوابًا عامًّا .

أخيرًا تكلم البروفسور .. قال :

ـ « هؤلاء السادة جاءوا للتحقيق فى مقتل (موزنجا) ، وإننى لأتوقع منك أقصى تعاون ممكن .. »

سألنى أحدهم ، وهو رجل نحيل أشيب :

ـ « متى رأيت (موزنجا) آخر مرة يا د. (عبد العظيم) ؟ »

ـ « كان هذا وهو ميت طبعًا .. وبالطبع لم نتبادل محادثات ذات قيمة كما لا يغيب عن ذكائكم .. »

ـ « بل أعنى متى رأيته آخر مرة حيًا ؟ »

حككت لحيتى مفكرًا :

ـ « ربما منذ ثلاثة أسابيع .. إن الفقيد لم يكن متوفرًا ، ثم إنه لم يكن صديقى ، وبرغم وفاته مازلت أعتبره أحمق كبيرًا .. »

بدت الدهشة مع بعض الامتعاض على وجهه ، فقلت مفسرًا :

ـ « لا أستطيع أن أغير رأيى فيه ، وأعتبره ملاكًا نبيلاً عبقريًا لمجرد أنه مات .. فالموت شىء لا فضل لأحد فيه .. »

ابتسم وتبادل نظرة مع من حوله ، ثم قال :

ـ « أشكرك لصراحتك .. لكنى أتساءل عن ذات الشىء : هل حقًا كانت علاقتك سيئة مع الفقيد ؟ »

إذن فالأمر هكذا ..

يحاولون توريطى فى التهمة ما داموا لا يجدون متهمين .. وكأن عدم الاستظراف سبب كاف للقتل ..

نظرت للبروفسور (بارتلييه) نظرة من نوع

(هل ـ سمعت ـ هذا ـ الكلام ـ المخبول ؟) .. فبادلنى نظرة من نوع (ليس ـ بوسعى ـ عمل ـ شىء ـ كى ـ أساعدك) ..

صحت فى انفعال وقد بدأ الموقف يستفزنى :

ـ « متى كان الفتور مبررًا للقتل ؟! »

ـ « ومتى كان دليلاً على البراءة ؟! »

قالها رجل الشرطة الكاميرونى فى تلذذ بانتصاره ، لكن منطقه معكوس .. الناس ليسوا متهمين مطالبين طيلة الوقت بإثبات براءاتهم .. لكنهم يمزحون دون ريب .. يوجهون طلقات عمياء فى الهواء أملاً فى أن تصيب أحدًا ..

قال لى وقد رأى ثورتى :

ـ « لا تنفعل يا د.(عبد العظيم) .. فليس عملنا هو إرسالك إلى الجحيم ، بل عملنا هو البحث عن الحقيقة .. »

ـ « إذن دعنى أسمع كلامًا يحوى ذرة منطق .. »

مدّ يده فى جيب سترته ليخرج مظروفًا سميكًا هائل الحجم ، لا أدرى كيف وضعه هناك .. وقال :

ـ « البصمات .. هل تؤمن بها ؟ ».

- « أية بصمات ؟ »

فتح ورقة مطوية أخرجها من المظروف ، وقال :

- « بصماتك ! لقد وجدناها على الكيس البلاستيكى الذى اختنق به (موزنجا) ! ترى هل تفهم حقًا معنى هذا ؟!! »

★ ★ ★

٦ ـ متّهـــم !!

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك !

★ ★ ★

قال الشرطى فى وقار من يملك أدلة لا تُدحض :

ـ « كان علينا أن نرفع البصمات من على الكيس البلاستيكى ، ونقارنها ببصمات العاملين فى (سافارى) من واقع ملفاتهم .. وكان ما قاله خبير البصمات لا يمكن تفنيده .. البصمات بصماتك .. ولديك دافع ربما كان باهتًا واهيًا ، لكن بصماتك ستجعله قويًّا .. »

ـ « إذن فخبير بصماتكم أبله .. »

ـ « هذا ما تقوله أنت .. ويقوله كل متهم .. »

نهضت فى جنون ، والتفتّ إلى البروفسور (بارتلييه) :

ـ « بروفسور .. هل تصدق هذا السخف ؟ »

عقد كفيه فى استسلام وقال :

ـ « هذا السخف تدعمه حقائق يا (علاء) ..

المشكلة هى أن تبرهن لنا على كيفية وصول بصماتك إلى الكيس ، ما دمت لم تخنق الرجل ، ولم تنتزع الكيس من حول رأسه .. »

كانت للرجل عادة ذميمة هى أنه لا يحميك أبدًا .. تحيط بك الأخطار وتحاصرك السباع ، لكنه يكتفى بعقد أصابعه والهرب بنظره إلى مكان آخر ..

حقًا إنه لمأزق !

أنا فى وسط أحداث لا أعرف عنها أدنى فكرة .. كابوس من كوابيس (كافكا) القاتمة ، حيث الإنسان محكوم عليه بالإعدام لتهمة لا يملك أدنى فكرة عنها ..

كيف وصلت بصماتى إلى هذا الكيس اللعين ؟

قال الشرطى وهو يفتح سترة بذلته ، كاشفًا عن مسدس فاخر الشكل ، يتدلى جوار خاصرته (وهى رسالة بليغة جدًا) :

ـ « والآن أجد أننى مضطر لاعتقالك يا سيدى .. وهذا باسم القانون .. »

قررت ألا أستسلم بسهولة .. سأركله ثم أوجه لكمة للجالس جواره ، وأفقأ عينى الواقف خلفه ، ثم أثب لأهشم زجاج النافذة ، وأقتحم سيارتهم الواقفة

تحتها ، فألقى بالسائق خارجًا .. ثم أندفع هاربًا من (سافارى) لأقضى حياتى بين الأحراش ..

طبعًا كلها خواطر صبيانية ، لا محل لها من الإعراب ..

ما دمت لست (رامبو) فلأكن (غاندى) ، ولأنهض فى سماحة ووقار أتقدمهم نحو الباب ، واضعًا نفسى تحت تصرفهم ..

قلت للبروفسور (بارتلييه) وأنا أنصرف :

ـ « هل يمكنك إبلاغ السفارة المصرية ؟ أريد مندوبًا منهم فى أثناء التحقيق .. »

قال فى كرم مبالغ فيه :

ـ « بالتأكيد .. ولسوف أرسل لك محاميًا مع مستشار (سافارى) القانونى .. لا تخش شيئًا .. أنت لست وحدك .. »

حقًا لست وحدى ..

عرفت هذا فى سيارة الشرطة ، وأنا أجلس فى المقعد الخلفى بين عملاقين من السود ، ولحسن الحظ لم يكبلونى بالأصفاد ، لأن هذا كان السيل الذى سيبلغ الزُبى .. خاصة وكل عاملى (سافارى) يحتشدون فى مدخل الوحدة وفى الشرفات ، ليروا ذلك الوغد الزنيم الذى نال جزاءه : أنا ..

كنت بعْد فى حالة من الذهول التامّ ..

منذ ساعة كنت جالسًا مع (آرثر شلبى) نجرى بحثًا علميًا ، والآن هأنذا متهم بالقتل وفى طريقى إلى المخفر فى (أنجاوانديرى) ..

تم كل هذا بسرعة وقسوة لا تصدّق ..

لهذا فهمت مشاعر الدجاجة التى تتسلى بالتقاط الحبّ ، ثم بعد ثوان تجد نفسها مقيدة ونصل السكين على عنقها ، ثم بعد ساعتين تصير طبقًا ساخنًا على مائدة ما ، ولربما تتحول إلى ذرات فى جسد كائن آخر بعد ساعات أخرى .. كائن أكبر وأقوى منها ..

إن الذهول منقضٍ لا محالة ..

لسوف يزول ارتباك فكرى ، عندها أعرف مدى الكارثة التى أنا فيها ..

★ ★ ★

أمضيت يومين فى المخفر ..

وهنا أعبر عن امتنانى الشديد لحالة الذهول التى كنت أحياها ، فهى التى جعلتنى لا أشعر بانصرام اليومين ..

كان مخفر الشرطة قذرًا .. و(التخشيبة) التى

وضعونى فيها ملأى بالبقّ ، وتفوح جدرانها برائحة البول .. كما كانوا يقدمون لى وجبتين فى اليوم من مزيج كريه ما ، ربما كان جذور (الكسافا) المسلوقة ..

يومان كاملان لم أر فيهما أحدًا ، ولم يرنى أحد سوى السجان الإفريقى البدين متجهم الوجه ..

وفى مساء اليوم الثانى جاءنى من يُدعى (أحمد نصير) من السفارة المصرية فى (ياوندى) ، ونصحنى بأن أتشجع .. فوعدته ..

بعدها جاءنى محام بلجيكى يُدعى (بيير لوزى) قال لى : إن القضية مهلهلة تمامًا، وهو سيعرف كيف ينسفها نسفًا .. ونصحنى بأن أتفاءل فوعدته ..

فى الصباح استدعونى إلى مكتب حارّ كالجحيم ، تهدر به مروحة متداعية ، ويجلس به طاووس متبختر فخور بثيابه العسكرية .. أجرى معى بالفرنسية تحقيقًا سريعًا .. وكان من الواضح لهؤلاء القوم أننى القاتل .. فقط يحتاج الأمر إلى ضغط نفسى أكثر ، وبعض الركلات والصفعات والحروق بطرف السيجارة المشتعل .. لكن ما كان يمنعهم ـ لسوء حظهم ـ هو أننى أجنبى مرتين .. مرة لأننى مصرى .. ومرة لأننى عامل فى جهاز دولى له احترامه مثل (سافارى) ..



وفى مساء اليوم الثانى جاءنى من يُدعى (أحمد نصير) من السفارة المصرية فى (ياوندى) ...

أخيرًا جاء المحامى البلجيكى ، وقال كلامًا كثيرًا عن أدلة الشرطة الواهية ، وعن الدليل الوحيد الذى هو بصمات على كيس بلاستيكى ، وعن إجراءات القبض علىَ الخاطئة .. إلخ ..

المهم أننى نجحت فى الحصول على إفراج مؤقت عنِّى .. وبالطبع دفعت (سافارى) كفالةً لا بأس بها .. وهذا هو الوضع الوسيط ما بين النار والماء .. فلا أنا حرّ أتنقل كيفما شئت ، ولا أنا سجين ينتظر الإعدام والبلاهة على سحنته ..

وعدت إلى الوحدة بعد ثلاثة أيام ..

★ ★ ★

كانوا جميعًا هناك يرحبون بى ، ويقولون لى كلامًا بكل اللغات ، له مذاق عبارة (كفّارة يا رجل) التى نقولها فى مصر للخارجين من التأبيدة ..

وحيتنى (برنادت) بأسلوب (التشنيكة) المعهود ، وقالت وهى تلكم ساعدى :

- « مرحبًا (علاء) .. كنت أعرف أنك ستعود سالمًا .. »

- كان هناك احتمال لا بأس به ألا أفعل .. »

وقال (بسام) وهو يلثمنى على خدَّى كعادتنا نحن العرب :

ـ « حمدًا للَّه على سلامتك .. هل لديك ارتباطات الليلة ؟ إن الأمر يحتاج إلى حفل صغير .. »

قلت له باسمًا :

ـ « ارتباطات ؟ لا أظن .. ليس علىَّ خنق بعض ضباط الأمن السود هذه الليلة .. إن هذا يستغرق وقتًا كما تعلم .. »

لكنى وسط الوجوه الضاحكة المرحبة كنت أردِّد لنفسى :

ـ « لم تنته أزمتك يا فتى .. ما زلت متهمًا .. وما زال ظلٌّ من الشك يحيط بك .. كلهم يرحبون بك لكنك وحيد .. وحيد .. هناك من يملك تفسيرًا لكل ما حدث .. وهناك من سيدفع الثمن باهظًا .. »

★ ★ ★

وتوجهت أول ما توجهت إلى مكتب (الزعيم) كى أخبره أننى لم أعدم بعد .. وكان البروفسور (بارتلييه) عاكفًا على كتابة بعض المذكرات ، حين رآنى فقال فى مرح :

ـ « هأنتذا أيها الشـاب ! لطالما نصحتك بالامتنـاع عن قتل الناس .. »

ـ « العادات القديمـة تموت بصعوبـة يا سيدى .. نسيت أنه ينبغى أن أشكرك على دعمك لـى فـى أثنـاء الأزمة .. »

ـ « لا تقل شيئاً .. فالأزمة لم تنتـه بعد .. اجلـس بحق السماء .. »

جلست شاعرًا للمرة الأولى بأننى أحبَ هذا المكتب ، وكنت أحسب أننى لن أراه ثانية .

قال المدير وهو يفتح علبة مياه غازية ، محدثًا ذلك الصوت (بلوب) المحبَب للنفس ، ثم يناولنى إياها :

ـ « اشرب .. الواقع يا (علاء) أن أمامنا حقيقـة يجب أن نجد لها تفسيرًا قبل أن نتحـدث عن حماقـة الشرطة هنا .. كيف وصلت بصماتك إلى الكيس ؟ »

جرعت جرعة جعلتنى أتجشأ ، وقلت :

ـ « بورب ! معذرة ! لا أدرى .. كل ما أعرفه هـو أننى لم أفعلها .. »

ـ « وماذا تقول لو أخبرتك أن لدىَ علامـة استفهام أخرى لم أصارح الشرطة بها ؟ »

- « وما هى ؟ »

فتح علبة أخرى لنفسه ، وجرع جرعة وقال :

- « إنها علامة استفهام لا تقنع أية محكمة .. لكنها تثير تساؤلى .. هل تذكر تجربة (دوبون) على دماغك ؟ »

- « طبعًا .. »

- « فى الساعة ٤:١٠ من مساء اليوم الثانى من التجربة الثانية .. يقول (دوبون) إنه رأى موجات شاذة غريبة لم يعهدها قط فى دماغك ..

ولما سألك عرف أنك كنت تقتل ثعبانًا بحذائك .. هل هذا صحيح ؟ »

هززت العلبة بيدى ، وقلت فى عدم فهم :

- « صحيح تمامًا ... ولكن ... »

قاطعنى قائلاً :

- « فى الساعة ١٠:٣٠ صباح اليوم ذاته وجد (دوبون) الموجات ذاتها .. لكنك لم تعط تفسيرًا قط .. يرى (دوبون) أنك كنت تقوم بعمل يحدث ذات الانفعالات والمشاعر .. بعبارة أخرى : كنت تقوم بنوع من قتل الثعابين بالحذاء !

★ ★ ★

٧- جـــزء مفقـــود ..

- « بوش ش ش ! »

نفخت فمى فانبعثت نافورة من المياه الغازية لتبلل معطفى ، شأنى شأن من يُفاجأ بنبأ غريب وفمه ملىء ..

نهضت وأخرجت منديلى ورحت أجفف ما أحدثت من فوضى ، وقلت للبروفسور :

- « معذرة .. معذرة .. لكنك فاجأتنى ! »

- « هذا متوقَع .. »

عدت للجلوس قائلاً فى غيظ :

- « إذن فهذا المعتوه .. هذا الأحمق .. هذا الـ .. »

- « حاول أن تهدأ فأنت ترتجف غضبًا .. »

- « هـذا الوغـد هـو من جعلك ترتـاب بـى .. إن طريقته ما زالت أبعد ما تكون عن الدقة ، وليس من الذكاء أن تعتمد عليها فى اتهام برىء .. »

جرع جرعة أخرى من علبته وقال :

- « هذا حق .. لكنهـا علامة استفهـام عليك أن

تفسرها .. ماذا كنت تفعل بالضبط فى الساعة ١٠:٣٠ من اليوم الثانى للتجربة ؟ »

ـ « لا أذكر .. لكنى لم أكن أخنق (موزنجا) وقتها بالتأكيد .. »

ونهضت لأنصرف فنادانى محذرًا :

ـ « (علاء) .. قبل أن تنصرف .. لا أريد بحال أن تذهب إلى (دوبون) لتصارحه بحماقته .. المفترض أننى لم أصارحك بشىء .. وأنا أعرف أنك مندفع مولع بالشجار .. فلا تجعلنى أندم ! »

هززت رأسى .. فلم يكن هذا فى نيتى على أى حال ..

لقد كان (بارتلييه) مخطئًا .. فأنا لا أجيد الشجار على الإطلاق ، بل أجيد الضرب .. ومعنى أن أذهب لمواجهة (دوبون) الآن أن أوسعه ركلاً ولكمًا .. ولا أريد أن أطرد من (سافارى) أو أسجن بقية حياتى من أجل أحمق كهذا ..

سيكون علىّ أولاً أن أجمع الأدلة ثم أواجهه .

يجب أن أتذكر .. يجب ..

★ ★ ★

ماذا كنت أفعله ذلك اليوم فى العاشرة والنصف صباحًا ؟

رجعت لمفكرتى التى كنت أدوّن فيها أحداث اليوم ، فوجدت أننى دخلت غرفة الجراحة فى العاشرة لأساعد د.(ألفرد) الجراح الدانماركى فى استئصال سرطان قولون .. طبعًا كان دورى هو (غالق جلد) لا أكثر ، وهو دور أقوم به أكثر الوقت بحكم صغر سنى ..

طبيعى ألا أجد أى شىء عن الجراحة فى مفكرتى .. لم أدوّن حرفًا حتى الحادية عشرة صباحًا .. بالطبع لأننى كنت أرتدى ثياب الجراحة وفى ظروف تعقيم كاملة صارمة ..

ماذا حدث وقتها كى يحدث موجات غريبة فى ذهنى ؟

★ ★ ★

والحل موجود وبسيط ..

إن كل جراحات (سافارى) يتم تصويرها فى أثناء إجرائها ، عن طريق دائرة تلفزيونية مغلقة ، بعد هذا يُودع الشريط فى مكتبة مرئية مُرقَّمة ومصنَّفة .. وبعد ستة أشهر يتم إعادة استخدام الشرائط ، حتى

لا تتمدد المكتبة أكثر من اللازم ، ولأسباب اقتصادية بحتة ..

فقط الجراحات الغريبة أو العبقرية أو الخرقاء يحتفظون بشريطها للأبد ..

توجهت إلى مكتبة الفيديو ، حيث كانت الموظفة الأمريكية الزنجية (جرترود) جالسة أمام شاشة الحاسب الآلى .. حييتها ، وطلبت شريط الجراحة .. فقرعت بعض المفاتيح :

اليوم	الجراحة	الجرّاح	المساعد
الثلاثاء ٥/٣	سرطان قولون/ استئصال للقولون	د. ألفريد سيجورد	د. علاء عبد العظيم

رقم الشريط : #15423-C

مدته : ساعة و ٣ دقائق ..

سألتنى وهى تلوك قطعة اللادن .

ـ « هل هذا هو الشريط يا عسل ؟ »

و (عسل) هى اللفظة التى يستخدمها الأمريكيون بداع وبدون داع ..

ويلفظونها hon .. وليس معناها أنها متيّمة بهواى ..

قلت لها وأنا آخذه لأعرضه فى جهاز الفيديو :

- « هو الشريط يا حبوبة قلبى .. »

وعلى الشاشة رحت أرقب المشهد الذى ألفته تماماً ، وكان مصوراً من علٍ مع الدنو بالعدسة لتظهر يدى الجراح فى حقل الجراحة ..

رحت أضغط على زرّ تقديم الصورة ، كى أفوّت اللقطات التى أذكرها جيداً .. وكانت هناك أجزاء لم أستطع تذكرها .. قلت لنفسى : إن هذا طبيعى .. فدورى لم يتجاوز توسيع حقل الجراحة أمام الرجل ، وملاحقة الشرايين النازفة الصغيرة التى يجرحها مبضعة ، كنت أقرّب منها جهاز الكىّ ، ثم أدوس الدوّاسة الصغيرة تحت قدمى لتتصاعد أبخرة اللحم المحترق .. بالواقع كانت الجراحة أكثر تعقيداً من قدرتى على المتابعة ..

وهنا - فى العاشرة والثلث حسب التوقيت المطبوع على ركن الشاشة الأيمن - بدا أن هناك شيئاً ليس على ما يُرام ..

كنت أترنح .. تراجعت الكاميرا لتظهرنى أتأرجح كدن ثقيل ، ثم أهوى أرضاً .. فوضى عامة ..

الجراح يسبّ بالدانماركية ، ثم يتساءل بالفرنسية :

ـ « ماذا دها هذا الأحمق ؟ »

طبيب التخدير يجثو بجوارى ، ويقول :

ـ « إنـه مسـتجدّ .. لا بد أنـه لم يتحمـل كـل هذه الدماء .. »

ـ « إذن أخرجوه من هنا .. نادوا (مكجريجور) .. فليعقّم نفسه فورًا كـى يسـاعدنى .. ربّاه ! ليس هذا وقت المزاح ! »

فوضى أخرى .. واضح أن ثلاثة يحملوننى للخارج .. قطـع ... ثم عـادت الصـورة فـى العاشـرة وخمـس وثلاثين دقيقة ..

هذه المرة يمكن تمييز جسد (مكجريجـور) طبيب الجراحة المقيم الضخم ، ولهجته الأسكتلندية المميزة .. ولم أعد أنا فى مسرح العمليات ..

أغلقت جهاز الفيديو وأعدت الشريط للمرأة ..

ـ « بهذه السرعة يا حبيبى ؟ »

نظرت لها عاجزًا عن فهم ما تقول .. أسمعه لكنـى لا أعيه .. هززت رأسى وغادرت المكان ..



في الكافيتريا كان المحتفلون بانتظارى ، وكانت هناك كعكة صغيرة كتبوا عليها بالقشدة (أول خطوة فى عالم الجريمة !) .

وكانت هناك زجاجات جعَة ، اعتذرت عنها شاكرًا وطلبت بعض الليمون ، وراح أحد الثملين يغنى بصوت أجش :

- « لأنه رجل طيب .. ولا أحد ينكر ذلك .. »

أما (برنادت) فقالت وهى تقطع الكعكة :

- « مرحبًا بعودتك يا (علاء) .. إن دخول أحد أفراد (سافارى) السجن بتهمة القتل لأمر جدير بالاحتفال به ! »

وقال (بسام) وهو يصب لنفسه المزيد من الليمون :

- « بحثنا عنك فوجدناك فى مكتبة الفيديو .. ما سرّ هذا الحماس ؟ »

- « لا أحب تضييع الوقت دون تعلّم .. »

كانوا يصخبون .. يمرحون .. يضحكون ..

لكن سمعى وذهنى كانا فى أرض نائية .. أرض بلا بشر ..

أرض تتناثر فيها تساؤلات بلا جواب ..

ورحت أدعو اللـه أن ينهوا هذا التهريج سريعًا ، كى أنفرد بنفسى وأشعر بالذعر والحيرة ..

إذن أنا لم أكن فى غرفة الجراحة فى العاشرة والنصف .. لقد غادرتها قبل ذلك بعشر دقائق ، إما لأننى فقدت الوعى ، وإما لأننى تظاهرت بفقدان الوعى ..

لماذا ؟ وكيف لا أذكر عن هذا الموضوع حرفًا ؟

إذن هناك جزء من يومى لم أدر عنه شيئًا ، وهذا الجزء يمكن أن أكون قد فعلت فيه أى شىء .. أى شىء ..

إن المدير صادق و (دوبون) صادق ..

لقد فعلت شيئًا لا أدرى كنهه ، لكنه سبَّب لى ذات المشاعر التى سببها قتل الثعبان بالحذاء .

★ ★ ★

وفى غرفتى - حين انتهت السهرة أخيرًا - قمت بتشغيل جهاز طرد الأرواح الشريرة .. أعنى مروحة السقف طبعًا ، ورقدت على الفراش أنظر إليها وأتساءل ..

تُرى ماذا دهانى فى ذلك اليوم ؟

لقد رأيت جراحات أكثر شراسة بمراحل ، ولم أكن مُرهقًا أو مريضًا فى ذلك اليوم .. بمعنى آخر : لا يوجد سبب لفقدى الوعى ..

إذن أنا تظاهرت بفقد الوعى .. أو تدخَل مؤثر خارجى ليجعلنى أفقد وعيى .. بعد هذا حملونى إلى الاستراحة بالخارج ، وصفعوا خدىَ قليلاً أو رشوا وجهى بماء بارد ..

لابد أننى فتحت عينى وقلت شيئًا ..

عندها تركونى وعادوا إلى عملهم ، ونسوا كل شىء عنى ..

الآن صار بوسعى أن أغادر قسم الجراحة .. أهبط فى الدرج .. أبحث عن (موزنجا) .. أقتله .. لن يستغرق هذا سوى نصف ساعة ..

حادث فقدان الوعى حادث تافه يتكرر كثيرًا ، ولن يتذكره أحد فى أية تحقيقات ما لم يتم استجواب طاقم الجراحة ، أو استعراض شريط الفيديو كما فعلت أنا ..

لقد صارت الفكرة ناضجة فى ذهنى ، ولم أعد بحاجة إلى زجاجة (كولا) كى أستطيع ابتلاعها ..

أنا قتلت (موزنجا) ..

لكن لماذا فعلتها ؟!

★ ★ ★

٨- اجعلهـم يشعـرون ..

طرقت الباب مرتين حتى ردّ ..

فتح فامتقع وجهه للحظة كأنما يرى الشيطان ، ثم تهلّل - كالعادة - ودعانى للدخول ..

كان الحاسب الآلى مفتوحًا ، وعليه تخطيط الموجات المعهود .. وقد أعدّ لنفسه قدحًا من القهوة يتصاعد الدخان منه ،، وجواره (بلوك نوت) وقلم كأنما كان يدوّن بعض الملاحظات ..

جلست دونما استئذان ، وبعد هنيهة سألته :

- « كيف حال (الأخ الأكبر) ؟ »

- « يراقبك ! »

قالها فى بساطة ، وصبّ لى بعض القهوة .. قهوة الفرنسيين اللعينة ، عديمة المذاق واللون والرائحة ، والمصيبة أنهم يضعون القشدة عليها .. رشفت رشفة من هذا الشىء ، ورحت أتأمل الشاشة ..

كان هناك شريط أدوات أسفلها ، كتبت عليه

ضروب عدة من المشاعر مثل (التوتر ـ النشوة ـ الشبع ـ الجوع ـ الصداع) ، بحيث يمكنه تحريك مؤشر (الفأرة) ليختار أى نوع منها ..

سألته :

ـ « لابد أنك تملك مكتبة هائلة من الأحاسيس الآن .. »

هزّ رأسه بحماسة ، وانحنى يعبث بالفأرة هنا وهناك ، حتى فتح لى قائمة تحوى ما يملك ، وكان اسمها كما توقعت هو (مكتبة المشاعر) ..

رحت أطالع الأسماء ذاهلاً .. (تفاؤل) .. (اكتئاب) .. (تأنيب ضمير) .. (لذّة سادية) (ندم) ..

يالها من دقة !

وقعت عيناى على عنوان مهيب كتبه بحروف (كابيتال) ليبدو أكثر وضوحًا من سواه ، وبلون أسود كثيف : (مكتبة الاحتضار !) ..

سألته وأنا أدقق فى ملامحه :

ـ « هل ظفرت بمشاعر محتضر ؟ »

ـ « حيوانات نعم .. لكنى لم أظفر بها فى الإنسان .. هناك حمقى كثيرون يجدون وضع طوق حول رأس محتضر أمرًا غير أخلاقى ومنافيًا للدين .. »

ـ « وهم محقون ! »

كنت أدرك أنه يقولها لاستفزاز مشاعرى ؛ ليرى بطلقة اختبار المدى الذى يمكن أن أتسامح فيه .. لكنى أخرسته ..

هزَّ رأسه وابتسم كمن يرى طفلاً يتحامق ، وقال :

ـ « هناك عالم يابانى وضع رجلاً يحتضر على كفة ميزان عملاق ، وقارن بين وزنه بعد وقبل الاحتضار .. ثم أعلن أن الفارق يساوى الروح ؛ ووزنها كذا من الميكروجرامات ! هل سمعت عن هذا(*) ؟ »

تقلّص وجهى استبشاعًا للفكرة ، وقلت :

ـ « أعوذ باللّه ! هذه تجربةٌ تجمع بين التجديف والقسوة .. وهل الروح لها وزن ؟ »

ابتسم من جديد ، وقال :

ـ « بالطبع كان قياسه خاطئًا .. لم يضع فى اعتباره عوامل البخر من الجلد ، وما إلى ذلك .. وهذا ما جعل الوزن أقل بعد الوفاة .. أنا لا أبرر عمله ، لكنى أقول : إنه من المسموح به وضع طوق حديدى حول رأس رجل يموت .. »

(*) تجربة حدثت فعلاً ..

- « وما جدوى هذا ؟ »

- « إن فهم ميكانزمات الموت لهو أساس علم وظـائف الأعضاء .. لقد نشـأ علـم الفسـيولوجى لمحاولـة فهـم ما الذى يجعل مجموعة من ذرات الكربون والهيدروجين تحلم وتحب وتتحرك وتموت .. »

ثم توقف قليلاً كمن يفكرٍ هنيهة ..

أخيرًا قال لى :

- « أنـا متـردد فى إطـلاعك على جزء مهم مـن التجربة .. لكن من حقك أن تعرفه ما دمت بدأت هـذه التجربة معى .. »

وداعب (الفـأرة) قليـلاً حتى وصل إلـى مبتغاه ، وقال :

- « الآن سنقوم بالتجربة بشكل عكسى .. »

- « تعنى أننى سأعرف مشاعر الحاسب الآلى ؟ »

- « تقريبًا ! »

★ ★ ★

ومن جديد تركته يثبت الطوق المعدنى حول رأسى ، لكن فى هذه المرة كانت تخرج منه أسلاك كثيرة تتجه إلى جهاز صغير يتصل بدوره بالحاسب الآلى ..



لكن فى هذه المرة كانت تخرج منه أسلاك كثيرة تتجه إلى جهاز صغير يتصل بدوره بالحاسب الآلى ..

ـ « هل تنوى قتلى بالكهرباء ؟ »

همهم مستحسناً الدعابة ، وواصل عمله .. ثم قال :

ـ « ثق بى .. سأجعلك تعرف متعة لم يعرفها أحد قط .. »

وانحنى على الشاشة ، وقال بصوت منذر :

ـ « أغمض عينيك ، وقل لى ما تشعر به .. »

ـ « لا أشعر بشىء .. »

ـ « صبراً ! »

★ ★ ★

يا للروعة !

إننى أحلق .. أحلق فى سموات صافية ، لها زرقة البحر ونقاء البللور ، أدنو من السحب لأجنى منها ما يملأ كفى ..

إننى الأقوى والأعظم والأجمل .. كيف لم أفطن لهذا ؟

أهبط إلى الأرض لأخطو فوق بساط سندسى .. عند الشمال يوجد غدير يتدفق فى نعومة ، و (برنادت) قادمة نحوى بالسرعة البطيئة كما فى أفلام السينما .. ثوبها الأبيض يتطاير من ورائها ..

أحبك يا (علاء) .. لم أستطع قط أن أصارحك بهذا .. أنا الذى يحبك يا (برنادت) .. لا .. لا .. لا تقل هذا .. لا تحاول أن تدغدغ غرورى الأنثوى .. أعرف أن مثلك يا (علاء) لن يحب مثلى ..

أمى آتية من بعيد .. تبدو أصغر سنًا .. لقد تحررت من داء (النقرس) الذى جعلها قعيدة تمامًا .. تضحك فيشرق وجهها الطيب ..

رائحةَ القهوة و (الحبهان) تفوح من ضحكتها .. رائحةَ البيت ..

(شِلْبى) يهتف فى انفعال :

ـ « المجد لـ (علاء) أعظم أطباء (سافارى) .. الذى أنقذ الملايين من داء الـ (تايروس) .. إن جائزة (نوبل) فى انتظارك يا بنى .. »

هأنذا أتقدم لأستلم الجائزة فى (السويد) ..

إنه المجد ..

(نسرين) تولول باكية .. تهرع إلىَّ وتصيح :

ـ « (علاء) ! كنت مخطئة ! أرجوك أن تعود إلىَّ .. أنا راغبة فى الزواج من رجل عظيم مثلك .. »

لكنى أرمقها فى تعال وأغمغم :

ـ « كان عليك أن تغتنمى الفرصة وقتها ! »
تصرخ .. تبكى .. تقطع شرايينها وتموت ..
عندها أنظر لها فى أسف و ..

★ ★ ★

ـ « هكذا إذن ! يكفيك هذا .. »
قالها (دوبون) ففتحت عينى لأجد أننى ما زلت جالسًا فى معمله ، ولم تكن هناك (برنادت) ولا أمى ولا لجنة (نوبل) ..
صحت ذاهلاً وأنا أنظر حولى :
ـ « ما كان هذا ؟ »
ـ « شعور رائع .. أليس كذلك ؟ »
ـ « لقد .. لقد وصلت لذروة النشوة .. »
قال وهو ينزع الطوق عن رأسى فى رفق :
ـ « ليس هذا فحسب .. لقد منحتك مزيجًا من مشاعر النشوة والتفاؤل والثقة بالنفس .. وقد جربت بنفسك ! »
ـ « لكن .. لكن ما هو داء الـ (تايروس) ؟ »
ـ « على قدر علمى لا يوجد شىء كهذا .. هل حلمت به ؟ »

ـ « حلمت أننى أكتشفت علاجًا له .. »
ـ « لابد أن الداء نفسه من اكتشافك .. هل فهمت الآن ما قمت به ؟ »
اتسعت عيناى ذهولاً ، ورحت أتأمل الشاشة غير مصدق :
ـ « أنت خلقت حالة عاطفية مزيفة ووضعتنى فيها .. »
ـ « تمامًا .. وذلك باستعمال عينات المشاعر لدىّ .. »
ـ « لكن هذا خطر .. »
ـ « حقًا خطر .. إنه قد يقودك إلى الإدمان .. فالنشوة التى شعرت بها الآن شبيهة بالنشوة التى يسببها عقار L.S.D .. وكل ما يسبب النشوة يسبب الإدمان كذلك .. »
صحت مبهور الأنفاس :
ـ « أنت أول من يصل لشىء كهذا ! »
هزّ كتفيه فى تواضع ، وقال :
ـ « ليس تمامًا .. ثمة تجارب مهمة أجريت فى الستينات .. كانوا يستأصلون أورام المخ ، والمرضى

متنبهون يحكون ما يشعرون به .. وكانت إثارة أجزاء معينةً من المخ بأقطاب كهربيةً تجعل المريض يشعر بأنه يشم رائحةً لحم مشوى شهى ، أو يركب دراجة فى نهار صحو ، أو يتلذذ بكوب عصير بارد .. وقد استعنت كثيرًا بالخرائط التى رسمها علماء الستينات هؤلاء(*) .. »

عدت أسأله محاولاً ترتيب أفكارى :

ـ « يمكنك جعلى أتألم كما جعلتنى أنتشى ؟ »

ـ « يمكننى جعلك تشعر بأيةً عاطفةً تخطر ببالك .. »

ـ « .. من جديد ما جدوى هذا كله ؟ »

اتجه إلى القفص الذى يلهو فيه قرد (الماكاك) ، ودسَّ يديه فى جيبى معطفه ، وقال دون أن يدير رأسه نحوى :

ـ « هذه هى الخطوة الأولى نحو عالم المستقبل .. إن كُتّاب الخيال العلمى قد كتبوا كثيرًا عن المشاعر الصناعية ، وفى فيلم لـ (وودى آلين) كان رجل المستقبل يتخلص من عناء اليوم بأن يدخل غرفة

(*) حقيقة ..

صغيرة اسمها (أورجازموترون) ، كى ينال الشعور الصناعى بالنشوة ، ثم يغادر الغرفة إنسانًا جديدًا ..

« تصوّر إمكانيات كشف كهذا .. لن نحتاج إلى (المورفين) أو عيادات الألم ، كى نخفف آلام مريض السرطان ، بل سنجعله يمرُّ بسلسلة لا تنتهى من أحلام السعادة هذه ..

« لن نعاقب المساجين .. بل سنجعلهم يمرُّون بمشاعر الخوف الصناعى أو الألم الصناعى لفترات طويلة ..

« سنمنح الأطفال الجياع مشاعر الشبع حتى تصل طائرات الإغاثة ..

« سنمنح المترددين الخائفين مشاعر الثقة بالنفس ..

« سنجعل السفاحين يجرِّبون مشاعر الضحية الخائفة ، كى يتوبوا عن جرائمهم للأبد .. »

وشهق بعمق كى يجد ما يكفى من هواء لعبارته الأخيرة :

ـ « إن اختراعًا كهذا يمكنه تغيير وجه العالم حقًّا .. »

★ ★ ★

هنا سألته السؤال الذى جئت خصيصًا لأوجهه ..

- « إذن هذا الجهاز يمكنه وضع الآخرين فى حالة عاطفية صناعية ؟ » .

- « ظننت أننى أوضحت هذه النقطة .. »

- « ومعنى هذا أنه يمكنه التأثير عليهم .. لنقُل يمكنه جعلهم يقومون بأشياء لا يريدون عملها .. »

- « بالتأكيد ! »

فى بلاهة تدلّى فمى .. إنه يعترف إذن .. يعترف بقدرته على توجيهى لعمل أشياء ، ما كنت لأفعلها فى يقظتى .. قتل (موزنجا) مثلاً ..

لو كنت قتلت (موزنجا) فلابد أننى كنت تحت سيطرة خارجية ..

سيطرة يفرضها علىّ طوق حديدى يحيط برأسى ..

إن هذا الجهاز مرعب ..

مرعب أكثر مما أتصوّر ..

★ ★ ★

٩ـ الحـــادث ..

لم أصارح الرجل بشيء من خواطرى السوداء .

وفى الصباح رحت أمارس عملى المعتاد مع طبيبة المعمل الشمطاء (هيلجا) ، أتلقى لومها على عدم تركيزى وخلط العينات ببعضها .. لكنى - برغم هذا - كنت أملك القدرة على تأمل نفسى من الخارج ..

الحقيقة أننى لم أكن على ما يُرام .. تجربة الأمس ومشاعر النشوة الصناعية التى منحنيها (دوبون) لم تمرَّ على خير .. وهأنذا أعانى ذات الأعراض التى يعرفها مدمنو الخمر أو مدمنو المهدئات حين يفيقون فى اليوم التالى .. يسمونها hang over ولا أجد ترجمة عربية موفقة لها ..

كنت منهمكًا فى تدوين بعض الأرقام ، حين دخلت (برنادت) المعمل ، وكان هذا دأبها كلما تأخرت عينات ما ..

هنا لاحظت أن شيئًا ما غريبًا فى مظهرها .. لقد كانت تضع الطوق إياه حول رأسها ..

هتفت د.(هيلجا) بصوتها العجوز البارد :

- « مرحبًا يا صغيرتى .. هل نجحوا فى جعلك ترتدين هذا الشىء ؟ » .

أخرجت (برنادت) مفكرة ودونت ملاحظة شعورية ما ، ثم قالت :

- « إن التقدم أقوى من الجميع يا د.(هيرشافت) .. »

لاحظتْ وجودى .. فهتفت فى مرح :

- « هاى (علاء) .. لقد حان دورى فى المهزلة ! »

ودوَّنت شيئًا فى مفكرتها ..

قلت لها وأنا أنهض فى عصبية :

- « أنصحك بانتزاع طاقية المخابيل هذه .. إنها خطرة .. خطرة ولا يعلم سوى اللّه ما قد ينجم عنها .. »

هزَّت كتفها فى لا مبالاة ، وقالت :

- « أنت جربتها قبلى ولم تجنَ .. ثم إننى بدأت أعتاد شكلها .. إنها تجعلنى أكثر أناقة .. »

- « من طلب منك ارتداءها ؟ »

- « المدير .. قال لى : إن (دوبون) راغب فى قياس مشاعر الأنثى وتحليلها .. ما كنت لأرفض .. »

ثم سألت (هيلجا) بلهجة عملية :

- « ماذا عن صور الدم التى أرسلناها أمس ؟ »

يا للمجنونة ! .. لكننى لن أجرؤ على مصارحتها بخطورة ما أعرفه .. إن بوسعك أن تحذر طفلاً من الكهرباء ، لكنه لن يفهم أبدًا ما لم يشعر بالصعقة الكهربية ، أو يرى واحدًا قتلته الصدمة ..

أنا أحد ضحايا الصدمة الكهربية .. فكيف لا تخافين يا (برنادت) ؟

أعتقد أن علىَّ مقابلة المدير ، والكلام بصراحة ..

لن يكون هناك ضحايا آخرون لذلك الاختراع الأحمق ..

★ ★ ★

راح جرس الإنذار يدوِّى ..

كنا فى الكافتريا فتصلبنا فى الأوضاع التى كنا عليها .. من كان يرفع الملعقة إلى فمه ، ومن كان يجرع من كوب العصير ..

بعدها دوَّى صوت المذيعة :

- « على كل الجراحين الموجودين التجمع فى مسرح العمليات .. على كل الجراحين .. »

ـ « اللعنة ! »

قالها جراح أمريكى شاب ، وجرع آخر ما بقى فى كوبه ، ثم راح يركض كى يفهم تلك الكارثة .. إن الحوادث التى تستدعى تشغيل جرس الإنذار نادرة هنا ، ولا تقل سوءًا عن انفجار بركان فى مدينة ..

نظرت لساعتى فوجدت أننى غير مطالب بشىء معين ، ولربما لن يزيد وجودى الأمور تعقيدًا .. لم لا ألحق بهم ؟ لعلى أستطيع إسداء العون فى أى موضع ..

وهكذا رحت أركض فى الممرات ، ومعطفى مفتوح .. شاعرًا بفخر صبيانى لمنظرى الذى كان سيروق لأمى حتمًا ..

هى ذى قاعة العمليات ، وقد تحولت إلى سيرك يضمّ لاعبين من كل الجنسيات .. الكل يثرثر ويتكلم ويشير ، وقد وقف عدد لا بأس به من الجراحين بثيابه الداخلية ، ينتظر ـ دون حرج ـ دوره فى إجراءات التعقيم ..

رأيت وسط الزحام الإيطالى (كارلوسباتزانى) .. كان بفانلته الداخلية ، لا يكفّ عن الثرثرة التى هى أشبه بالسباب أو السباب الذى هو أشبه بالثرثرة ..

كان منظره مضحكًا ببدانته ، والشعر الكثّ الذى يغلف ذراعيه وصدره ، حتى إننى بحثت عن شعر فى بياض عينيه فلم أجد ..

سألته متوقعًا صيحة تبعدنى :

- « بروفسور .. ماذا حدث ؟ »

على الفور امتدت يده الغليظة تجذبنى من عنقى ، وصاح :

- « هو ذا واحد آخر يا (ببير) .. إن الفتى كفء .. خذه معك ! »

- « هل لى أن أعرف .. »

- « حريق يا بنىّ .. ثم أشجار متساقطة .. لقد جلبت لنا سيارات الإسعاف نحو مائة شخص بعضهم محترق وبعضهم مهشّم .. »

هنا جاء طبيب العناية المركزة (ببير) واقتادنى من ذراعى ..

لم يكن هناك مكان يكفى لمائة مريض ، ولا حتى لخمسين .. لهذا وجدت الردهة الخارجية قد تحولت إلى عنبر كبير ، يتمدد فيه على الأرض عشرات السود الذين احترقوا أو كادوا ..

تبًّا لها من فوضى !

وظهر البروفسور (بارتلييه) يلهث وهو يدفع جسده البدين خلفه ، ووراءه د.(براكلى) نائبه .. فما إن رأى المشهد حتى صاح :

ـ « يا للهول ! إن قدراتنا لا تسمح باستيعاب هذا العدد .. لماذا لم يأخذوهم إلى مستشفيات أخرى ؟ »

وهنا اصطدمت به ممرضة إنجليزية تحمل ستًّا من زجاجات المحاليل ، وكان (بيير) عاكفًا على تركيب قنوات وريدية لمن يجد له أوردة ، بينما (بسّام) يجرى تنفسًا صناعيًّا لأحدهم ..

رحت أساعد د.(بيير) فى البحث عن أوردة .. وهذه مهمة مستحيلة لكل من جرَّب تركيب إبرة فى عروق شخص مصدوم .. لكنى نجحت إلى حدٍّ ما .. نساء .. أطفال .. شيوخ .. رباه !..

توقفت وصحت مناديًا (بيير) :

ـ « دكتور .. لقد مات ثلاثة منهم ! »

قال دون أن ينظر لى :

ـ « مرحى ! مهمتنا صارت أسهل ! »

لم تكن هذه قسوة .. بل هى تعبير عن حالتى

السخط والعجز اللتين شعرنا بهما حين رأينا الموت يدور حول هذه الجثث ليقف عند رءوسها.. ونحن قلة .. وأضعف من أن نلاحقه فى خطواته السريعة الرشيقة المدروسة ..

كنت عاكفًا على تنظيف جرح صبى فى السادسة عشرة من عمره ، حين سمعت صوتًا ناعمًا متلصصًا يقول :

ـ « استمر ! لن أضايقك ! » .

رفعت رأسى ببطء من موضعى ، فرأيت مشهدًا لن أنساه أبدًا ..

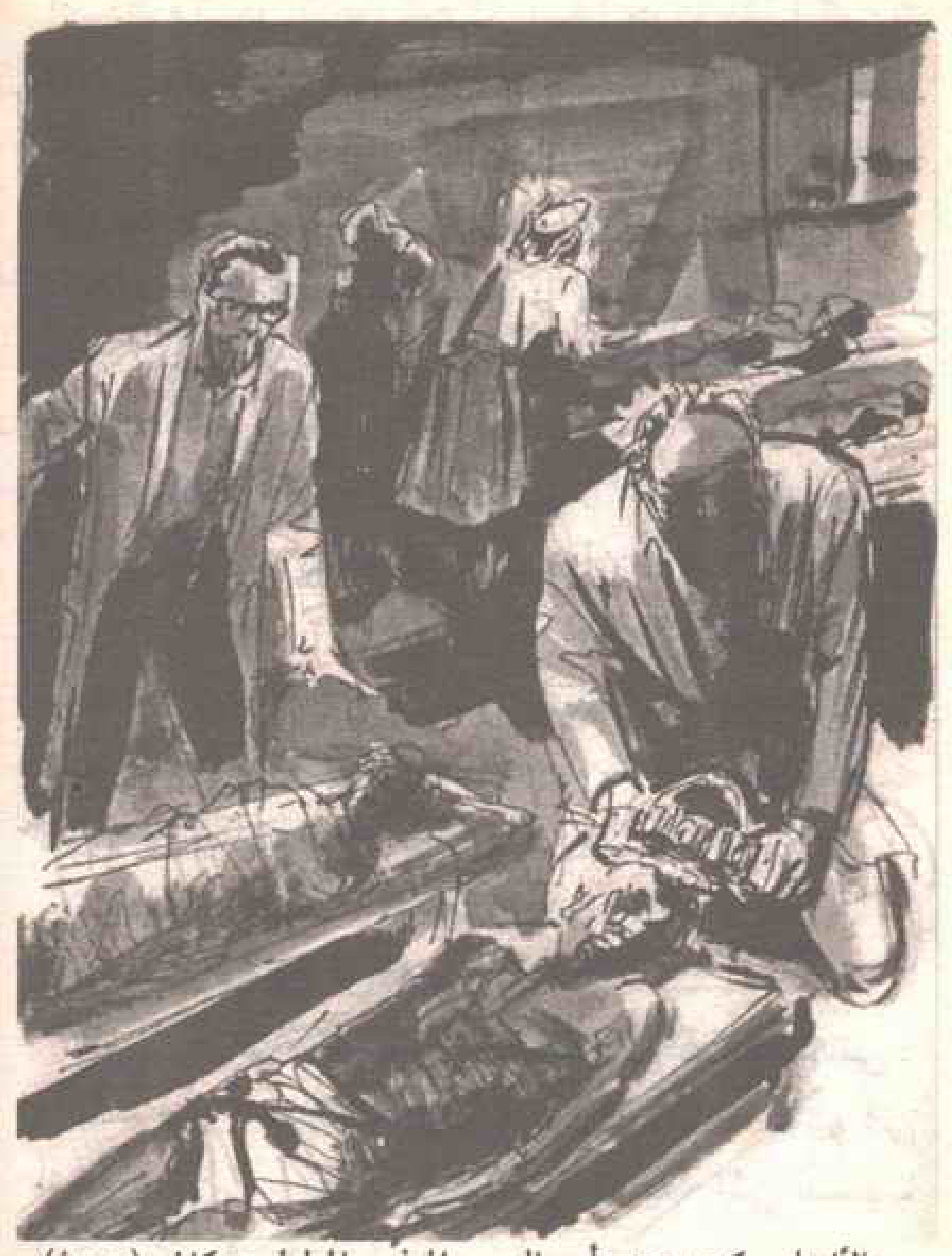
كان (دوبون) جاثيًا على ركبتيه عند رأس الصبى المعذَّب المولول ، وكان ـ (دوبون) ـ يحاول تثبيت طوق جهازه المعدنى حول الرأس !

للخطة لم أفهم .. ثم فهمت ..

ـ « هل تحاول أن ؟ »

قال فى رفق وهو يشير بسبابته إلى فمه ليسكتنى :

ـ « صبرًا .. إنها عاطفة نادرة حقًا .. الألم فى أشنع صوَرِه .. إنها من مقتنياتى الثمينة التى أضمها لمجموعتى فى فخر ! »



جاثيًا على ركبتيه عند رأس الصبى المعذب المولول ، وكان ـ (دوبون) ـ يحاول تثبيت طوق جهازه المعدنى حول الرأس ! . .

هنا فقدت التحكم نهائيًا فى أعصابى .. فصحت بالعربية :

ـ « أيها الوغد ! »

نظر لى فى ذهول وعدم فهم ..

هنا وثبت نحوه ، وكورت قبضتى ولكمته فى أنفه أعز لكمة كان لى أن أوجهها فى حياتى .. لقد ضُربتُ وضَربتُ كثيرًا ، لكنى لم أستمتع قط بتوجيه لكمة كهذه طيلة عمرى ..

تُرى هل هو الإيحاء أم أن عظام أنفه تهشمت حقًا ؟

وقبل أن يفهم أننى ضربته ، وجهت لكمة إلى معدته ، ثم سيف يد إلى مؤخرة عنقه .. ولحسن الحظ كان هزيل البنية ، لذا تهاوى على الأرض كعروس (ماريونيت) مات محركها بنوبة قلبية ..

فى اللحظة التالية وجدت خمسة يقيدوننى ويبعدوننى عن الرجل ، ورأيت البروفسور (بارتلييه) ينظر لى فى ذهول ..

ـ « (علاء) ! إذن أنت قادر على قتل إنسان ! »

أشرت إلى رأس الصبى الإفريقى ، وقلت :

ـ « انظر ! عالمك المخبول يحاول قراءة مشاعر

هذا الصبى .. ومتى ؟ فى أثناء معاناته التى لا يصدقها عقل بعد احتراقه .. إن هذا الـ (دوبون) لا يستحق لقب إنسان أصلاً ، ولو كان حجم حذائى أكبر لسرنى أن أسحقه كما أسحق أى .. أى .. »

بلهجة ذات معنى قال وهو يثبت عينيه فى عينى :

ـ « .. أى ثعبان .. أليس كذلك ؟ »

مططت شفتى تعاليًا ، وقلت :

ـ « تلميح واضح أكثر من اللازم .. لكنى أسألك يا سيدى بصفتك رجلاً شريفًا : هل تجد تصرف (دوبون) هذا آدميًا ؟ ! » .

قال وهو يتفقد الرجل المكوّم على الأرض :

ـ « بالطبع لا .. إن الحيوانات أكثر رقة من هذا .. لكن هناك دائمًا طرقًا أخرى للاحتجاج غير تحطيم الأنوف .. وللأسف أجد أننى مطالب بمعاقبتك .. ستأتى لمكتبى بعد انتهائنا من عمل اللازم للضحايا .. »

ثم أشار إلى رجاله ، وإلى (دوبون) وقال :

ـ « هاتوا هذا الحيوان إلى مكتبى لأعنى به .. »

كان للفظة (الحيوان) أثر السحر فى تهدئتى ..

أخيرًا خرج المدير من دائرة الانبهار بـ (دوبون) ،

وبدأ يطلق عليه نعوتًا غير مهذبة .. لا بـأس على الإطلاق ..

وهكذا عدنا نواصل مهمتنا الشاقة مع جيش الجرحى والمحتضرين الذى فوجئنا به ، ولا بد أن (سباتزانى) الجراح الإيطالى قد استأصل عشرين طحالاً وشفط عشرين تجمعًا دمويًا ، قبل أن نشعر أن الأمور قد استقرت نوعًا ..

وهكذا توجهت إلى مكتب المدير منهوكًا ملوثًا بالدماء ، ورائحة الشياط تنبعث من أنفاسى ..

ولم تقل السكرتيرة كلمة ما ، لأن منظرى كان يُغنى عن أى سؤال ..

لابد من أن ألقى المدير الآن وإلا حدثت كارثة ..

ودخلت لأجد الرجل عاكفًا على إجراء مكالمات عدة ، طالبًا أن تتدخل وزارة الصحة لنقل بعض المصابين لمستشفياتها ..

أشار لى كى أجلس ، ثم واصل الشجار فى الهاتف ..

أخيرًا وضع السماعة ، وقال :

- « يؤسفنى يا د. (عبد العظيم) .. »

وفهمت معنى استعماله للصيغة الرسمية

(عبد العظيم) فى مخاطبتى ، بدلاً من (علاء) ذات الطابع الأبوى الودود ..

قلت كى أريحه من مزيد من الكلام :

ـ « نعم .. أفهم .. أنت مستغنى عن خدماتى هنا ، لأنك لا تريد رعاعًا فى وحدة (سافارى) .. » .

ـ « ونفس الشىء ينطبق على (دوبون) .. لا أريد وحوشًا آدميةً هنا .. أرجو أن تقدم لى استقالتك خلال ساعة .. » .

لم يكن هناك ما يُقال ..

ولو كان يفترض أننى سأنهار وأبكى فهو مخطئ .. لقد فعلت ما يجب عمله ، ولو عاد الزمن لفعلت الشىء ذاته ..

ـ « (علاء) .. ألن تقول شيئًا ؟ .. »

ـ « نعم يا سيدى .. لا شىء يُقال .. إن طردى هو من صميم واجبك ..

وما زال فى الوقت متسع كى أفكر فى عودتى خائب الأمل إلى مصر .. إن رصيدى فى المصرف لا بأس به على كل حال .. يمكننى أن أجد عيادة صغيرة وأؤثثها .. لكنى لن أستطيع العودة لعملى الحكومى ..

الزواج ؟ يبدو ألا مفر من ذلك لـو عدت لمصر .. كانت لدى هنا حجـة جاهزة هى ضيق الوقت وعدم توافر فرص الاختيار .. الآن يبدو ألا مفر هناك .. .. و ... (برنادت) ؟ ماذا عن ... ؟

هنا نظر لى المدير نظرة طويلة شفوق ، وقال :

ـ « يبدو أنك لا تفهم معنى استقالتك من (سـافارى) .. ليس الأمر بالبساطة التى تحسبها .. » .

ـ « لماذا يا سيدى ؟ » كل الناس تسـتقيل مـن كل الأعمال طيلة الوقت .. »

ابتسم فى شفقة متزايدة وقال :

ـ « معنى استقالتك هو أن أطلـب الشرطة لتعتقلك فورًا .. فقد زال ضمان عملـك ، وهـو المـبرر الوحيـد لتركك خارج جدران السجن ! »

* * *



١٠ـ فى معمـــــله ..

جلست إلى مقعدى شاعرًا أننى على وشك فقد وعيى ، وقلت :

ـ « لم يدر لى هذا ببال .. ولكنك بهذا يا سيدى تعاقبنى بما هو أسوأ من الطرد .. ما دمت تعرف هذا فلماذا تطلبه ؟ » .

قال وهو يعقد كفيه تحت ذقنه :

ـ « ربما لن أقبل استقالتك مراعاة للظروف .. لكنى أتوقع منك تفسيرات أكثر لهذا الذى حدث .. »

قلت وأنا أتحاشى نظراته :

ـ « أعتقد أننى أستحق العقاب .. »

ـ « على ضرب (دوبون) ؟ »

ـ « بل على قتل (موزنجا) ! »

★ ★ ★

فى الساعة التالية دقّ جرس الهاتف ستّ مرات ، ودخلت السكرتيره حاملةً أوراقًا ثلاث مرّات ، وخرجت لفافتان من جهاز (الفاكس) ..

لكن كل شىء لم يمنعنى من سرد قصتى بالتفصيل ..
حينما خلت الغرفة ، قال المدير :

- « كل هذا مخيف .. لكن لا دليل عليه ، ولن يقنع أية محكمة .. لكننى سأؤجل عملية طرد (دوبون) حتى نعرف ما يعرفه .. »

- « وامنعه يا سيدى من توزيع جهازه على العاملين هنا .. لقد رأيت (برنادت) تضعه على رأسها .. لا يعلم سوى الله ما فعلته لحظتها .. »

- « لك هذا .. والآن سأعاقبك عقابًا مناسبًا .. »

ثم استدعى السكرتيرة ، وبابتسامة رقيقة طلب منها أن تتأكد من خصم علاواتى مع خصم أسبوعين من راتب هذا الشهر .

يا لكرمك يا سيدى ! إنها معاملة أرق من أن أستحقها ..

★ ★ ★

فى الصباح خرجت من غرفتى شاعرًا بشعور لصٍ أمسكوه متلبسًا فى حافلة مزدحمة .. كأن مئات الأيدى انهالت علىّ ضربًا طيلة الليل ..

قابلت (برنادت) فما إن رأتنى حتى أشرقت ، وكوّرت أنفها قائلة :

ـ « هـاى (علاء) ! سمعنـا أنك عوقبت بسبب ضربك لـ (دوبون) .. الحق أنه يستحق .. »

ـ « لماذا ؟ لقد انتهت تجربتك معه .. » .

احمرّ وجهها قليلاً ، وغمغمت :

ـ « كان يحاول استنتاج مشاعرى .. لكنه لم يُوفَّق .. تصوّر أنه يزعم أننى ـ حين كنت فى المعمل أكلمك ـ أظهرت موجات تدلُّ على حب وافتتان عميقين ، وقد استنتج من هذا أننى أحبك .. تصوَّر هذا السخف وكل هذه الحماقة ! »

تقلص وجهى غير مصدق :

ـ « هو قال هذا ؟ »

ـ « تصوَّر ! »

انفجرت ضاحكًا ـ أو هكذا قررت ـ ورحت أضرب فخذى بكفى :

ـ هذا الأحمق ؟ هى هى ! هذا المخبول ! هو هو ! أنت وأنا .. و .. هى هى ! إن الجنون لن ينتهى من العالم ! » .

ـ « لقد أبديت له رأيًا مشابهًا .. »

ثم حيتنى برأسها وابتعدت ..

استندت إلى الجدار متلاحق الأنفاس ..
رباه ! ماذا لو كان (دوبون) عبقريًّا ؟ ماذا لو كان على حق ؟ لا أجرؤ على التمنى ..

★ ★ ★

بعد الظهر توجهت إلى معمل (فسيولوجيا الجهاز العصبى) ..
طرقت الباب حتى انفتح ليظهر لى وجه (دوبون) الذى صرت أمقته كسحلية سامة .. وكانت هناك ضمادة على أنفه المهشم ..
فما إن رآنى حتى ظنّ أننى جئت لتوجيه المزيد من اللكمات إلى أنفه وبطنه ، وتراجع للوراء ..
لكنى رسمت ابتسامة ودودًا ، وقلت :
ـ « جئت لأعتذر .. لقد كنت فظًا أمس .. »
هنا تنهد ، وفتح الباب أكثر :
ـ « فظًا فقط ؟ لقد كنت على وشك قتلى .. »
ـ « كانت الظروف متوترة كما تعلم .. ثم فاجأتنى بهذا الطوق الحديدى ، و .. »
أشار لى كى أدخل ، فتقدمت إلى داخل المعمل معتم الإضاءة ، حيث كان (الأخ الأكبر) يعمل فى صمت ..

فقط صوت هدير من جهاز الـ UPS ، المسئول عن عدم انقطاع التيار الكهربى عن الحاسب الآلى ..

سألنى وهو يجلس أمام الشاشة :

ـ « لعلك هدأت نفسًا ، وتخلصت من أخلاق الرجل العادى .. »

ـ « أحاول .. »

ثم خطر لى أن أسأله سؤالاً مهمًا بالنسبة لى :

ـ « هل حقًا وجدت فى مشاعر (برنادت) عاطفة حبٍّ تجاهى ؟ »

ابتسم فى خبث ، كأنما يقول : يا لتفاهة هؤلاء الشباب ! ثم مدّ يده للأزرار ، وفتح لى ملفًا .. ثم راح يستعرض الموجات حتى وصل لذبذبة معينة ..

ـ « هل ترى هذه الموجات ؟ »

ثم فتح نافذة أخرى تجاور الأولى ، وتظهر موجات مماثلة :

ـ « وهل ترى هذه ؟ لاحظ التشابه القوى .. إن الأمر قابل لقياسه بدقة طبعًا ، ويتجاوز مجرد إحساسك الانطباعى بالتشابه .. هل ترى ؟ الموجات الأولى هى موجاتك حين قلت فى مكبر الصوت : أشعر بحبٍّ شديد ، وقلبى يرتجف فى ضلوعى ..

« الموجات الثانية هى موجاتها حين قابلتك أمس ..
ما الذى نستنتجه من هذا ؟! »

أخذت شهيقًا عميقًا .. وفى نفسى قلت : مستحيل ..
هذا مستحيل لأنه ببساطة مستحيل .. إن الجميع على
خطأ .. وحتى (هومير) يحنى رأسه .

دعونا من هذا الحلم الجميل ولنتحدث فى أمور أكثر
أهمية ..

قلت له :

ـ « أنا راغب فى تجربة مشاعر التفاؤل أو الرضا ..
أشعر بتوتر شديد هذه الأيام .. »

ـ « ليس الأمر بهذه السهولة .. سأقبل ما تريد
بشرط ألا تريده ثانية ، فأنا لا أريد إقحامك فى خانة
الإدمان .. »

ـ « بضع دقائق لا أكثر .. »

اتجه إلى مكتبه ، فتناول كيسًا من البلاستيك يحوى
طوق الأفكار إياه ، ففتحه .. ثم عاد إلىَّ ..

هنا دقَّ الباب فاتجه ليفتحه .. وسمعت ثرثرة
بالفرنسية ..

وظللت أنا وحدى فى الحجرة شبه المعتمة ، أصغى

لصياح قرد (الماكاك) الذى تنبه فجأة، وأسمع هدير جهاز الـ UPS ، وصوت أفكارى ..

لقد تذكرت شيئًا ما ..

★ ★ ★

« .. كى أنزع الطوق الحديدى المقيت من حول رأسى وأعيده لـ (دوبون) ، فطلب منى أن أضعه فى كيس بلاستيكى على المنضدة ..

شعرت لحظتها أن قمة رأسى تنبت ... »

★ ★ ★

هكذا إذن !

كانت هناك طريقة بسيطة جدًا وصلت بها بصماتى إلى كيس بلاستيكى ، وفيما بعد وجدوا كيسًا بلاستيكيًا يحمل بصماتى حوار جثة (موزنجا) ..

الاستنتاج : لم أكن أنا القاتل ولكن صاحب الكيس ..

ثمة سؤال واحد هنا .. هل استعمل الكيس مصادفة أم أنه كان يبغى توريطى ؟ هل خنق (موزنجا) بأول كيس وجده ، أم أنه اختار ذلك الكيس بالذات بغية إلقاء الاتهام على أول مغفل خطر له ؟

وطبعًا استعمل قفازًا فى الحالتين ، فلن يغير هذه الحقيقة شىء .

ولكن لماذا قتل (موزنجا) ؟

كانت شاشة الحاسب الآلى مضاءة أمامى ، وقد طالت محادثته مع الشخص على الباب أكثر من اللازم ..

فى حذر ـ كأننى أمسك فارًا حقيقيًا ـ مددت يدى أتلمّس الفأرة ، وكنت قد تعلمت شيئًا أو شيئين عن استخدام الحاسب الآلى مع (شلبى) .. تحركت بالمؤشر إلى أيقونة صغيرة فى طرف الشاشة السفلى .. كان اسمها (ملاحظات) ..

هل انتهت المحادثة بعد ؟ .. لا ..

أعرف أن (دوبون) يكفل سرية كاملة لحاسبه الآلى ، ولا يستطيع أحد فتحه .. لكنه الآن مفتوح كقلب طفل .

لقد دخلت المدينة بجيوشى لأن أحدًا لم يحسبنى محاربًا ، والآن قد اجتزت الأسوار الحصينة ، وأستطيع عمل ما أشاء ..

ضغطت على الأيقونة ، فانفتحت نافذة دُوِّنت بها ملاحظات .

كانت أسماء ملفات .. لكنها طويلة أكثر من اللازم ، واستطعت أن أقرأ (فاقد الوعى) ـ (استيقاظ) ـ (عذاب الاختناق) ـ (الاحتضار النهائى) ...

هذا هو الدليل الكامل إذن ..

أستطيع الآن أن أفهم ما حدث .

لقد خرج (دوبون) فى ذلك الصباح مرتديًا قفازيه .. وقد دسَّ الكيس البلاستيكى فى جيبه مع حبل غليظ ، وكان يعتزم خنق أحدهم ليضيف إلى مجموعته شعورًا نادرًا طريفًا ..

هنا حدث شىء ما .. إما أن (موزنجا) شك فيه ، أو أن (موزنجا) كان تعس الحظ ، بحيث كان هو أول من لقيه (دوبون) فى مكان خال مناسب ، وكان ظهره له .

عندها انهال على مؤخرة رأسه بجسم ثقيل .. ثم ..

(اللعنة ! هذه النافذة لا تريد أن تختفى !) .

.. قيده .. وجرَّه جرًّا إلى خزانة التنظيف ، فما إن بدأ هذا يفيق حتى ثبت الكيس على رأسه - بعد ما ثبت الطوق الحديدى طبعًا - وراح فى برود ينتظر فى الردهة ، حتى اكتمل عنده الشريط الثمين .. من ثم فتح الخزانة وانتزع الكيس ، ثم انتزع الطوق فأخفاه فى ثيابه وأغلق الخزانة .. وابتعد ..

وفى معمله كان جهاز الحاسب الآلى - أو الأخ الأكبر -

يزغرد فرحًا بكل هذه الملفات التى وصلته .. فلم يبق سوى تسمية الملف كله باسم (مكتبة الاحتضار) ..

(كيف تنغلق هذه النافذة ؟ لا حل سوى إطفاء الجهاز كله ولأتظاهر بالحماقة بعدها ..) .

كان قرارى متأخرًا ربع ثانية ..

لأن وعيى تلاشى فى هذه اللحظة ..

★ ★ ★

ظلام .. ظلام .. ظلام ..

أسود من السواد وأكثر صمتًا من الصمت ..

★ ★ ★

١١ـ كشــف الأوراق ..

يجلس فى مقعده الأثير أمام شاشة الحاسب الآلى ، يتأملنى وأنا أفيق وكل ملامح وجهه تعكس همًّا عميقًا ..

أخيرًا حاولت تحريك أطرافى فلم أقدر ..

الإجابة واضحة وسأوفر عليك الوقت .. كنت مقيدًا فى الفراش بالحبال فى وضع المصلوب ..

أخيرًا قال فى شرود ، وهو يتأمل قبضة معدنية فى يده :

ـ « لقد أفقت تمامًا .. »

ـ « هذا ما أظنه .. »

قلتها فلم تخرج إلى العالم الخارجى .

الإجابة ـ كذلك ـ واضحة .. كنت ملثمًا بقطعة من اللاصق ..

قال وقد سمع نهنهتى وهمهمتى :

ـ « معذرة لهذه المعاملة .. فالصوت ينتقل بسهولة هنا .. »

ثم تأمل أظفاره .. وأردف :

- « لم أتوقع قط أنك ستحاول العبث فى جهازى .. كنت مطمئنًا إلى أن أحدًا لن يستطيع فتحه ، ونسيت أولئك الذين سيجدونه مفتوحًا بالفعل .. الخلاصة .. لقد صرت تعرف أكثر من اللازم كما يقول رجال العصابات ، ويؤسفنى أننى بحاجة إلى التخلص منك .. »

ثم تقلص وجهه الأملس ، وقال :

- منذ البداية لم أستطع أن أحبك أو أثق بك .. لهذا - حين قتلت (موزنجا) - كنت أول من خطر لى كى أورطه .. وكان عندى الكيس البلاستيكى الذى يحوى بصماتك .. كنت أعرف أننى سأحتاج إليه حتمًا يومًا ما ، لهذا اعتنيت بإخفائه وعدم لمسه بيد عارية .. لا تنكر أنه أسلوب ناجح ..

« لماذا قتلت (موزنجا) ؟

« إجابة سهلة لسؤال صعب .. قتلته لأنه كان هناك ، ولأننى أمقت جثته الضخمة ورائحته العطرية الدسمة ، وأسئلته السمجة عن كل شىء ..

« كان يدير ظهره لى ، وكانت القبضة الحديدية فى جيبى .. لم يكن ثمة إغراء أقوى من هذا ..

« فى الوقت ذاتـه جعلت حاسبى الآلى يصدر موجات عالية تنبعث من الطوق حول رأسك .. كنت أعرف أن هذا سيجعلك تفقد الوعى ، وعندها سيحملك المحيطون بك إلى مكان قصى ..

« كنت أريد أن تختفى وقت الجريمة ثم تظهر بعدها .. بالطبع لن تتذكر ما حدث .. ولسوف تشك أنت نفسك فى معنى ما كان ..

« إن الناس الأغبياء - وأنت منهم طبعًا - قليلو الثقة بحواسهم ، ويسهل إقناعهم بأنهم عملوا شيئًا ما لا شعوريًا .. »

كان يتكلم فى شرود طيلة الوقت ، كأنما يكلم نفسه ..

وخطر لى هنا أنه لا يجيد التقييد ..

بالطبع لا يجيده .. أقسم إن الأنشوطة غير محكمة حول معصمى الأيمن ، وبشىء من الجهد الصادق أستطيع أن ...

لكن لأنتظر .. لسوف يلاحظ ذلك حتمًا ..

لا بد من لحظة مناسبة ما ..

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

عاد يتكلم وهو ينظر إلى الشاشة التى تتحرك عليها صور أسماك :

ـ « هكذا ترى .. لقد دنوت جدًّا من النهاية العظمى .. وصرت على شفا إعلان أبحاثى .. لكنى فى كل مرة أصطدم بأخلاق الرجل العادى .. تخيَّل لو أن حياة (أديسون) معلقة بقتله امرأة عجوز .. امرأة لا نفع منها ولا جدوى .. عندئذ هل يوجد خيار ؟ هل تتردد ؟ لو عاشت المرأة لما كان هناك (أديسون) ..

« سيقول الاخلاقيون : حياة بشرية بحياة بشرية .. لا .. لا .. حياة (أديسون) لا تتساوى بحياة امرأة عجوز ، وحياة (موزنجا) لا تتساوى بحياتى .. بل بحياة أبحاثى ..

« لقد دهمت طفلاً بسيارتى فى (بلجيكا) منذ عام .. فماذا تظننى فعلت ؟ فررت وتناسيت الأمر تمامًا ..

« ستقول : تبًّا لك من وغد ! فأقول لك :

لو خضعت لأخلاق الرجل العادى لكنت الآن فى السجن ، ولما وُجد اكتشافى هذا ..

« والبديهى هنا أن حياتك ليست أهم من حياتى يا د.(عبد العظيم) .. وأرجو أن تجد بعض السلوى فى معرفة أنك تقدم بموتك شيئًا لمسيرة العلم ! » .

وبعد هنيهة صمت عاد لـ (مونولوجه) الطويل .. قال :

ـ « الحق أننى لم أختر الوسيلة بعد .. لكنها من نفس جنس اكتشافى .. سأمنحك ـ مثلاً ـ شعورًا مضاعفًا من الألم ، ولسوف يتوقف قلبك على الفور من الصدمة العصبية ..

« عندها ألقى بك فى مكان بعيد عن الغرفة ـ لا تنس أننا فى منتصف الليل ـ ولسوف يندهش (بارتلييه) حين يجد شابًا مثلك يعانى من نوبة قلبية بل ويموت بها ..

« لكن التشريح سيؤكد ذلك ، وسينفى كل الأسباب الأخرى .. هكذا ينتهى فصل دام من هذه القصة .. »

ثم نهض ، وسمعت صوت سائل يتدفق فى كوب .. الربطة .. يجب أن ..

كما توقعت .. إن معصمى الأيمن يستطيع الخروج من القيد ، ومعه يدى كلها .. فعلت ذلك ، ثم لففت طرف القيد كيفما اتفق حول يدى ليبدو فى مكانه ..

سأنتظر لحظة أن يدنو من الفراش كى ..

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

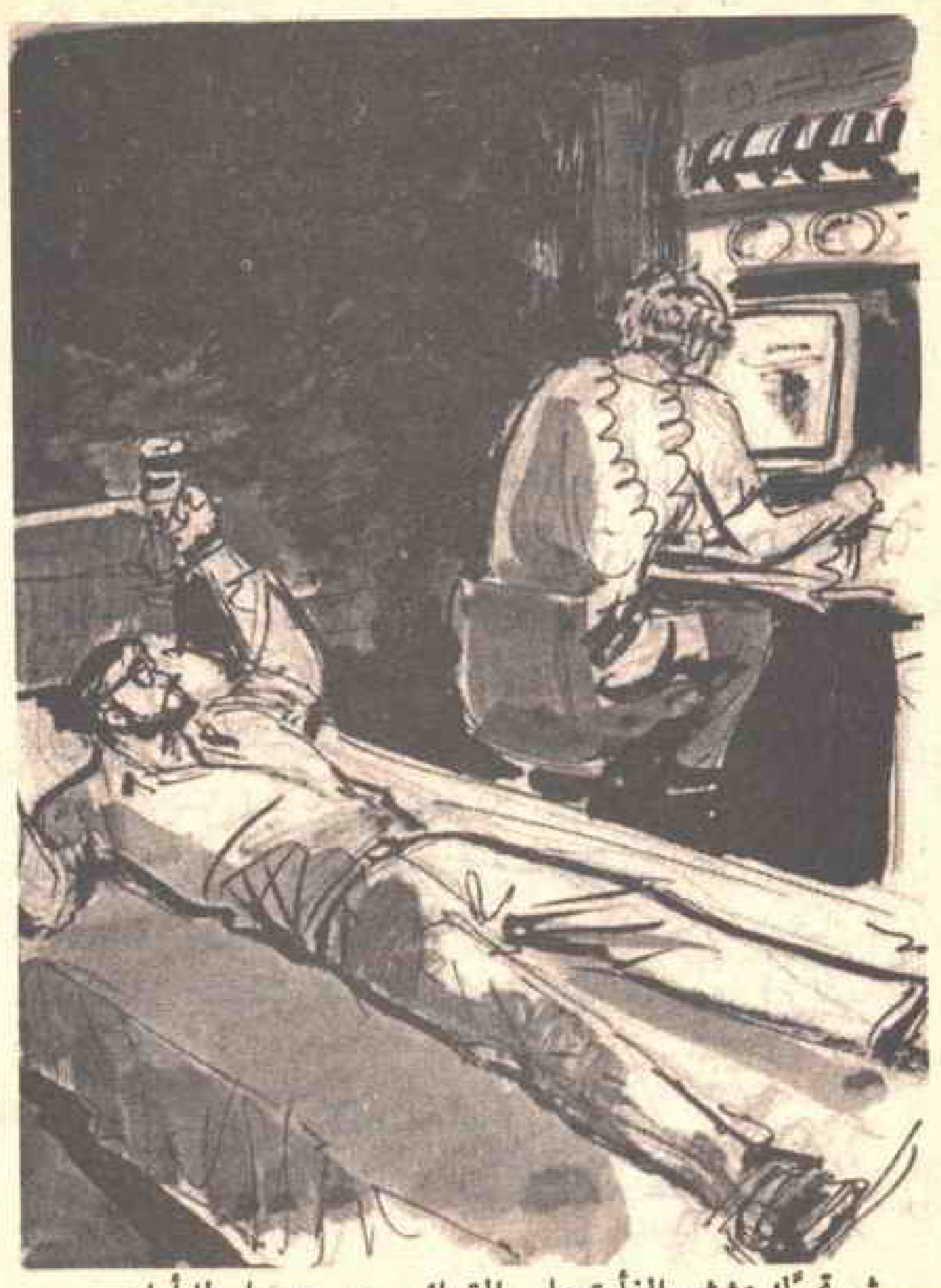
★ ★ ★

عاد حاملاً كوبًا من العصير عديم المذاق ـ حتمًا ـ فجلس إلى مقعده ، وراح يتأمل الكوب بعض الوقت ، ثم قال :

ـ « لكنى لا أجد الشجاعة كى أفعل .. لهذا سأستمد الشجاعة من جهازى .. لقد حصلت على هذه العاطفة من (برنادت) شقرائك الكندية .. لقد تحاملتْ على نفسها كى تنتزع دودة طويلة وجدتها فى عين غلام .. يبدو أنها دودة (لوالوا) إن كان الاسم صحيحًا .. المهم أننى سجلت هذه اللحظة باعتبارها صورة راقية للشجاعة .. »

وتناول الطوق ، فوضعه فوق رأسه ..

ثم تحرك بمؤشر الفأرة على القوائم حتى وصل لما أراد ..



ثم تحرك بمؤشر الفأرة على القوائم حتى وصل لما أراد ..

قال لى باسمًا :

ـ « يستغرق هذا البث خمس دقائق ، بعدها أعود لك ! »

وضغط على زرّ الفأرة ..

أغمض عينيه فى (ترانس) عميق ..

ولم يعد أمامى وقت كاف للتظاهر ، وثبت كالمجنون ورحت بأناملى وأسنانى أحرر المعصم الأيسر .. كان هذا سهلاً ..

ثم انحنيت للأمام ، ورحت أحاول تحرير الساق اليمنى .. كان هذا عسيرًا لأن الوغد أحكم ربطها .. لكنى .. لا وقت لدىَ ..

استدرت لأبدأ تجاربى على الساق اليسرى ، وتذكرت ما يفعله حيوان (الولفرينو)(*) فى (كندا) حين يقع فى المصيدة .. إنه ـ ببساطة ـ يقطع ساقه الحبيسة بأسنانه !

لكنى لا أملك مزاجًا لعمل كهذا اليوم ..

الحمد لله !.. القيد يرتخى ..

(*) المستذئب أو الشره : حيوان شديد الشراسة هو مزيج من النمس والذئب ..

نعود للساق اليمنى الآن .. تحررى يا حمقاء ! تحررى ! لماذا لم أكن من الطراز الذى يحمل مبرد أظفار معه !

تحررت ؟ أخيرًا ..

★ ★ ★

ووثبت إلى الأرض ، وهرعت إلى الرجل الجالس فى غيبوبته أمام الشاشة .. هل أحطم رأسه ؟ هل أغادر المعمل طالبًا الغوث ؟

العدالة الشعرية !

العدالة الشعرية .. هذا الرجل قتل صبيًّا بسيارته ، وقتل (موزنجا) على سبيل اللهو العلمى .. والآن ينوى قتلى لمجرد أننى حشرة ..

حين أغادر المعمل صارخًا ، سيكون هو جاهزًا بألف حجة وألف مبرّر .. ولسوف يصدق الناس أننى جننت ..

وهو .. ؟

هو سيستمر للأبد .. سيقتل آخرين .. سيخالف كل قوانين الرجل العادى لأنها لا تنطبق عليه ..

العدالة الشعرية !

أحيانًا لا يكون قتل الصراصير جريمة ..

★ ★ ★

التقطت منديلى من جيب سروالى ، وغلفت به يدى ، ثم مددت يدى من فوق كتف الرجل لأتناول الفأرة ..

تحركت لأشير إلى (مكتبة الاحتضار) ثم ضغطت الزرّ ..

وانفتحت أمامى قائمة غير عادية :

١ ـ الموت خنقًا ببطء .

٢ ـ الموت بالسرطان .

٣ ـ موت فى حريق .

٤ ـ نزف بطىء ..

يا للهول ! تحركت إلى رقم واحد ، وأعدت ضغط الزرّ .. ظهرت لى العبارة الشهيرة :

Press (Start) when ready

منظم جدًا هذا الوغد .. لقد جعل البرنامج ذا واجهة محترمة كبرامج المحترفين المعدّة للتسويق ..

ضغطت زرّ البدء Start ، وبدأ البرنامج يعمل ..

★ ★ ★

ظننت شيئًا لن يحدث ..

بعدها أدركت أن وجه الرجل يزرقّ .. لقد بدأت

الموجات الكهربية تزحف إلى نخاعه المستطيل لتحاصر مركز التنفس ..
صدره يعلو ويهبط .. فمه ينفتح .. لسانه ..
لم أستطع متابعة المشهد أكثر ..
جريت إلى الفراش فتأكدت من إزالة بصماتى ، ومزقت الحبل بأسنانى وداريت أطرافه فى جيبى ، ثم عدت لشاشة الحاسب الآلى فتأكدت من تنظيفها مع الفأرة ..
هل نسيت شيئا ؟
لا .. حتى لو نسيت ؛ فمن الطبيعى أن توجد بصماتى فى هذا المعمل .
والآن أغادر المكان ..
أرجو ألا تكون قرود (الماكاك) قادرة على الكلام ..
نظرت للوراء فوجدت رأسه محنيًا على صدره ، وقد راحت الرغاوى تسيل من شفتيه ..
لقد ارتكبت جريمة قتل .. لكننى قتلت قاتلاً .. قتلت وحشًا ..

★ ★ ★

ابتعدت كثيرًا عن المعمل ، ولم يكن هناك أحد ..

توجهت إلى غرفتى وأغلقتها علىَّ ..
ونمت كلوح من خشب حتى الصباح ..

★ ★ ★

فى مكتب (بارتلييه) .
يرمقنى الرجل فى تأمل ، ثم يقول وهو لا يخفى أفكاره :
ـ « مات ! لقد حاول أن يجرِّب مشاعر الاحتضار على نفسه .. »
فى براءة تساءلت :
ـ « حقًا ؟ هل كان يملك بعضها فى مكتبته ؟ »
ـ « بل ووجدنا دليلاً دامغًا على أنه قاتل (موزنجا) .. أسماء الملفات تشى بهذا بصراحة .. وهذا يعنى تبرئتك .. »
ثم أضاف وهو ينهض ليجوب الغرفة :
ـ « إن بصماتك فى أماكن كثيرة . الشرطة وجدت بصماتك على باب الغرفة .. على الأقفاص .. »
حقًا ! كيف نسيت هذه الأماكن ؟ ولماذا يقول هذا ؟
لكنه يضيف :
ـ « لكن الجميع يعلم أنك من زبائن (دوبون)

الدائمين .. لقد كان ـ رحمه الله ـ مخبولاً .. لكنه عبقرى ، ولربما كان من الأفضل له أن مات .. »

ثم نظر فى عينى متسائلاً :

ـ « هل لديك اعتراف معين لى ؟ »

ـ « لا يا سيدى .. »

ـ « إذن .. عُد لعملك قبل أن أنسفك نسفًا .. »

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

كانت هناك نسخة من البرنامج على أسطوانة مركبة (CD) ..

وفى (بلجيكا) فتح د. (ريمون ساديبل) المظروف ليجد هذه الأسطوانة .. لقد أرسلها له صديق عمره ومنافسه (دوبون) من (الكاميرون) ..

يقول له فى الورقة المطوية حول الأسطوانة :

ـ « فى حالة حدوث شىء لى .. أعرف أنك تملك نفس جنونى وحماسى وثورتى على أخلاق الرجل العادى .. » .

هزّ د. (ريمون) رأسه وداعب ربطة عنقه كعادته :

ـ « المخبول الأصلع يقول كلامًا مريبًا .. لكن دعنا نر ما تحويه هذه الأسطوانة بحق السماء .. »

وفى اللحظات التالية سيقرأ الملف الذى يشرح التجربة ، ولن يصدّق حتى يرى ..

ماذا سيحدث بعدها ؟

للأسف نحن لا نجيب عن أسئلة كهذه فى (سافارى) ..

د. علاء عبد العظيم

أنجاوانديرى

★ ★ ★





سافارى

مغامرات طبيب شاب يجاهد لكى يظل حيا وكى يظل طبيبا

٨٣٦٨٩

تجربة محرمة

من المفترض أن نقدم سطورًا سريعة عن هذه الرواية ها هنا .. لكن هذا سيفسد كل شىء .. دعنا نتمرد على هذا التقليد ونقرأ الرواية مباشرة دون تقديم ..!



د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم
أشياء تحدث ليلا